الفُرْقَانْ

بَيْنَ

الحَقِّ وَالْبُطْلانْ

لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ تَقِيُّ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الحَلِيمِ بْنُ تَيْمِيَّةَ
طَيَّبَ الله ثَرَاهُ

بِسْمِ اللهِ الرَّحمْنِ الرَّحِيْمِ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ أَحْمَدُ بْنُ تَيْمِيَّة ـ طَيَّب الله ثَرَاه ـ فِيمَا صَنَّفَهُ بِقَلَعَةِ دِمَشْقَ أَخِيرًا:

الحَمْدُ لله، نَسْتَعِينهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ الله فَهُوَ المُهْتَدِ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

ثُمَّ الشِّيعَةُ لمَّا حَدَثُوا لَمْ يَكُنْ الَّذِي ابْتَدَعَ التَشَيُّعَ قَصْدُهُ الدِّينُ، بَلْ كَانَ غَرَضُهُ فَاسِدًا، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ كَانَ مُنَافِقًا زِنْدِيْقًا، فَأَصْلُ بِدْعَتِهِمْ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الكَذِبِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَكْذِيبِ الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ؛ ولِهذَا لَا يُوجَدُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ مِنْ الكَذِبِ أَكْثَرُ مِمَّا يُوجَدُ فِيهِمْ؛ بِخِلَافِ الخَوَارِجِ فَإِنَّهُ لَا يُعْرَفُ فِيهِمْ مَنْ يَكْذِبُ.

وَالشِّيعَةُ لَا يَكَادُ يُوثَقُ بِرِوَايَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ مِنْ شُيُوخِهِمْ لِكَثْرَةِ الكَذِبِ فِيهِمْ؛ وَلِهَذَا أَعْرَضَ عَنْهُمْ أَهْلُ الصَّحِيحِ، فَلَا يَرْوِي البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ أَحَادِيثَ عَلِيّ إِلَا عَنْ أَهْلِ بَيْتَهِ كَأَوْلَادِهِ، مِثْلِ: الحَسَنِ، وَالحُسَيْنِ، وَمِثْلِ: مُحَمَّدِ بْنِ الحَنَفَيَّةِ، وَكَاتِبِهِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، أَوْ أَصْحَابِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِمْ، مِثْلِ عَبِيدَةَ السَّلْمَانِي، وَالحَارِثِ التَّيْمِي، وَقَيْسِ بْنِ عُبَادٍ، وَأَمْثَالِهِمْ؛ إِذْ هَؤُلَاءِ صَادِقُونَ فِيمَا يَرْوُونَهُ عَنْ عَلِيٍّ، فَلِهَذَا أَخْرَجَ أَصْحَابُ الصَّحِيْحِ حَدِيثَهُمْ.

وَهَاتَانِ الطَّائِفَتَانِ ـ الخَوَارِجُ وَالشِّيعَةُ ـ حَدَثُوا بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ، وَكَانَ الْمسْلِمُونَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَصَدْرًا مِنْ خِلَافَةِ عُثْمَانَ ـ فِي السَّنَةِ الأُولَى مِنْ وِلَايَتِه ـ مُتَّفِقِينَ لَا تَنَازُعَ بَيْنَهُمْ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ثُمَّ حَدَثَ فِي أَوَاخِرِ خِلَافَةِ عُثْمَانَ أُمُورٌ أَوْجَبَتْ نَوْعًا مِنْ التَّفَرُّقِ، وَقَامَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الفِتْنَةِ وَالظُّلْمِ، فَقَتَلُوا عُثْمَانَ، فَتَفَرَّقَ المُسْلِمُونَ بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ.

وَلمَّا اقْتَتَلَ المُسْلِمُونَ بِصِفِّينَ، وَاتَّفَقُوا عَلَى تَحْكِيمِ حَكَمَيْنِ خَرَجَتْ الخَوَارِجُ عَلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَفَارَقُوهُ، وَفَارَقُوا جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ إِلَى مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: حَرُورَاءُ، فَكَفَّ عَنْهُمْ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ، وَقَالَ: (لَكُمْ عَلَيْنَا أَلَا نَمْنَعْكُمْ حَقَّكُمْ مِنْ الفَيءِ، وَلَا نَمْنَعْكُمْ المَسَاجِدَ)، إِلَى أَنْ اسْتَحَلُّوا دِمَاءَ المُسْلِمِينَ وَأَمْوَالَهُمْ، فَقَتَلُوا عَبْدَاللهِ بْنَ خَبَّابٍ، وَأَغَارُوا عَلَى سَرْحِ المُسْلِمِينَ.

فَعَلِمَ عَلِيٌّ أَنَّهُمْ الطَّائِفَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ: «**يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَقِرَاءَتَهُ مَعَ قِرَاءَتِهِمْ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، آيَتُهُمْ فِيهِمْ رَجُلٌ مُخْدَجُ[1] الْيَدِ عَلَيْهَا بَضْعَةٌ عَلَيْهَا عَرَاتٌ**».

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

---

(1) أي: ناقص. انظر: القاموس المحيط، مادة: خدج.

وَفِي رِوَايَة: «**يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ، وَيَدعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ**». فَخَطَبَ النَّاسَ وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَالَ: هُمْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ، قَدْ سَفَكُوا الدَّمَ الحَرَامَ، وَأَغَارُوا عَلَى سَرْحِ النَّاسِ فَقَاتَلَهُمْ، وَوَجَدَ العَلَامَةَ بَعْدَ أَنْ كَادَ لَا يُوجَدُ، فَسَجَدَ للهِ شُكْرًا.

وَحَدَثَ فِي أَيَّامِهِ الشِّيعَةُ؛ لَكِنْ كَانُوا مُخْتَفِينَ بِقَوْلِهِمْ، لَا يُظْهِرُونَهُ لِعَلِيٍّ وَشِيعَتِهِ، بَلْ كَانُوا ثَلَاثَ طَوَائِفَ:

طَائِفَةٌ تَقُولُ: إِنَّهُ إِلَهٌ، وَهَؤُلَاءِ لمَّا ظَهَرَ عَلَيْهِمْ أَحْرَقَهُمْ بِالنَّارِ، وَخَدَّ لَهُمْ أَخَادِيدَ عِنْدَ بَابِ مَسْجِدِ بَنِي كِنْدَةَ، وَقِيلَ: إِنَّهُ أَنْشَدَ:

لمَّــا رَأَيْــتُ الأَمْــرَ أَمْــرًا مُنْكَــرًا أَجَّجْــتُ نَــارِي وَدَعَــوتُ قُنْبُــرَا

وَقَدْ رَوَى البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ ابْنِ عَبَاسٍ قَالَ: أَتَى عَلِيٌّ بِزَنَادِقَةٍ فَحَرَّقَهُمْ بِالنَّارِ، وَلَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحَرِقْهُمْ؛ لِنَهْيِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يُعَذَّبَ بِعَذَابِ اللهِ، وَلَضَرَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ لِقَوْلِهِ ﷺ:«**مَنْ بَدَّلَ دِيْنَهُ فَاقْتُلُوهُ**»، وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ هُوَ مَذْهَبُ أَكْثَرِ الفُقَهَاءِ، وقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ أَجَّلَهُمْ ثَلَاثًا.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَالثَّانِيَةُ: السَّابَّةُ: وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ عَنْ ابْنِ السَّوْدَاءِ أَنَّهُ كَانَ يَسُبُّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَطَلَبَهُ، قِيلَ: إِنَّهُ طَلَبَهُ لِيَقْتُلَهُ فَهَرَبَ مِنْهُ.

وَالثَّالِثَةُ: المُفَضِّلَةُ: الَّذِينَ يُفَضِّلُونَهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَتَوَاتَرَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ:(خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ).

وَرَوَى ذَلِكَ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الحَنَفِيَّةِ أَنَّهُ سَأَلَ أَبَاهُ: مَنْ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: عُمَرُ.

وَكَانَتِ الشِّيعَةُ الأُولَى لَا يَتَنَازَعُونَ فِي تَفْضِيلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَإِنَّمَا كَانَ النِّزَاعُ فِي عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ؛ وَلِهَذَا قَالَ شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللهِ إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرَ.

فَقِيلَ لَهُ: تَقُولُ هَذَا وَأَنْتَ مِنْ الشِّيعَةِ؟ فَقَالَ: كُلُّ الشِّيعَةِ كَانُوا عَلَى هَذَا، وَهُوَ الَّذِي قَالَ هَذَا عَلَى أَعْوَادِ مِنْبَرِهِ، أَفَنُكَذِّبُهُ فِيمَا قَالَ؟.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَلِهَذَا قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: مَنْ فَضَّلَ عَلِيًّا عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَدْ أَزْرَى بِالمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَمَا أَرَى يَصْعَدُ لَهُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَمَلٌ وَهُوَ كَذَلِكَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنَهِ، وَكَأَنَّهُ يُعَرِّضُ بِالحَسَنِ بْنِ صَالِحِ بْنِ حَيٍّ، فَإِنَّ الزَّيْدِيَّةَ الصَّالِحِيَّةَ وَهُمْ أَصْلَحُ طَوَائِفِ الزَّيْدِيَّةِ يُنْسَبُونَ إِلَيْهِ.

وَلَكِنَّ الشِّيعَةَ لَم يَكُنْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ، وَلَا دَارٌ وَلَا سَيْفٌ يُقَاتِلُونَ بِهِ الْمسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا لِلْخَوَارِجِ، تَمَيَّزُوا بِالْإِمَامِ، وَالْجَمَاعَةِ، وَالدَّارِ، وَسَمُّوا دَارَهُمْ دَارَ الِهجْرَةِ، وَجَعَلُوا دَارَ المُسْلِمِينَ دَارَ كُفْرٍ وَحَرْبٍ.

وَكِلَا الطَّائِفَتَيْنِ تَطْعَنُ بَلْ تُكَفِّرُ وُلَاةَ المُسْلِمِينَ، وَجُمْهُورُ الخَوَارِجِ يُكَفِّرُونَ عُثْمَانَ وَعَلِيًّا وَمَنْ تَوَلَّاهُمَا، وَالرَّافِضَةُ يَلْعَنُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَمَنْ تَوَلَّاهُمْ، وَلَكِنَّ الفَسَادَ الظَّاهِرَ كَانَ فِي الخَوَارِجِ، مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ، وَأَخْذِ الأَمْوَالِ، وَالخُرُوجِ بِالسَّيْفِ؛ فَلِهَذَا جَاءَتْ الأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ بِقِتَالِهِمْ، وَالْأَحَادِيثُ فِي ذَمِّهِمْ وَالْأَمْرِ بِقِتَالِهِمْ كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَهِيَ مُتَوَاتِرَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ، مِثْلَ أَحَادِيثِ الرُّؤْيَةِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَفِتْنَتِهِ، وَأَحَادِيثِ الشَّفَّاعَةِ، وَالْحَوْضِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَقَدْ رُوِيَتْ أَحَادِيثٌ فِي ذَمِّ القَدَرِيةِ وَالمُرْجِئَةِ، رَوَى بَعْضَهَا أَهْلُ السُّنَنِ، كَأَبِي دَاوُد وَابْنِ مَاجَة، وَبَعْضُ النَّاسِ يُثْبِتُهَا وَيُقَوِّيهَا، وَمِنْ العُلَمَاءِ مَنْ طَعَنَ فِيهَا وَضَعَّفَهَا، وَلَكِنَّ الَّذِي ثَبَتَ فِي ذَمِّ القَدَرِيَّةِ وَنَحْوِهِمْ هُوَ عَنْ الصَّحَابَةِ كَابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ.

وَأَمَّا لَفْظُ الرَّافِضَةِ، فَهَذَا اللَّفْظُ أَوَّلَ مَا ظَهَرَ فِي الإِسْلَامِ، لَمَّا خَرَجَ زَيْدُ بْنُ عَلِيِّ ابْنِ الحُسَيْنِ فِي أَوَائِلِ المِائَـةِ الثَّانِيَةِ فِي خِلَافَةِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ، وَاتَّبَعَهُ الشِّيعَةُ، فَسُئِلَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَتَوَلَّاهُمَا وَتَرَحَّمَ عَلَيْهِمَا، فَرَفَضَـهُ قَوْمٌ، فَقَالَ:رَفَضْتُمُونِي، رَفَضْتُمُونِي!! فَسُمُّوا الرَّافِضَةَ؛ فَالرَّافِضَةُ تَتَوَلَّى أَخَاهُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ، وَالزَّيْدِيَّةُ يَتَوَلَّوْنَ زَيْدًا وَيُنْسَبُونَ إِلَيْهِ، وَمِنْ حِينَئِذٍ انْقَسَمَتْ الشِّيعَةُ إِلَى: زَيْدِيَّةٍ، وَرَافِضَةٍ إِمَامِيَّةٍ.

ثُمَّ فِي آخِرِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ حَدَثَتْ القَدَرِيَّةُ، وَأَصْلُ بِدْعَتِهِمْ كَانَتْ مِنْ عَجْزِ عُقُولِهِمْ عَنْ الإِيمَانِ بِقَدَرِ اللهِ، وَالْإِيمَانِ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ مُمْتَنِعٌ، وَكَانُوا قَدْ آمَنُوا بِدِينِ اللهِ، وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَظَنُّوا أَنَّهُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ قَدْ عَلِمَ قَبْلَ الأَمْرِ مَنْ يُطِيعُ وَمَنْ يَعْصِى؛ لِأَنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّ مَنْ عَلِمَ مَا سَيَكُونُ لَمْ يَحْسُنْ مِنْهُ أَنْ يَأْمُرَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ المَأْمُورَ يَعْصِيهِ وَلَا يُطِيعُهُ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَظَنُّوا أَيْضًا أَنَّهُ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُمْ يُفْسِدُونَ لَمْ يَحْسُنْ أَنْ يَخْلُقَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يُفْسِدُ، فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلُهُمْ ـ بِإِنْكَارِ القَدَرِ السَّابِقِ ـ الصَّحَابَةَ أَنْكَرُوا إِنْكَارًا عَظِيمًا وَتَبَرَّءُوا مِنْهُمْ، حَتَى قَالَ عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ: أَخْبِرْ أُولَئِكَ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ مِنِّى بُرَآءُ، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ: لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَهُ الله مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَذَكَرَ عَنْ أَبِيهِ حَدِيثَ جِبْرِيلَ، وَهَذَا أَوَّلُ حَدِيثٍ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضًا مُخْتَصَرًا.

ثُمَّ كَثُرَ الخَوْضُ فِي القَدَرِ، وَكَانَ أَكْثَرُ الخَوْضِ فِيهِ بِالبَصْرَةِ وَالشَّامِ، وَبَعْضُهُ فِي المَدِينَةِ، فَصَارَ مُقْتَصِدُوهُمْ وَجُمْهُورُهُمْ يُقِرُّونَ بِالقَدَرِ السَّابِقِ وَبِالْكِتَابِ المُتَقَدِّمِ، وَصَارَ نِزَاعُ النَّاسِ فِيالإِرَادَةِ وَخَلْقِ أَفْعَالُ العِبَادِ فَصَارُوا فِي ذَلِكَ حِزْبَيْنِ:

النُّفَاةُ يَقُولُونَ: لَا إِرَادَةَ إِلَّا بِمَعْنَى المَشِيئَةِ، وَهُوَ لَمْ يُرِدْ إِلَّا مَا أَمَرَ بِهِ، وَلَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا مِنْ أَفْعَالِ العِبَادِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَقَابَلَهُمْ الخَائِضُونَ فِي القَدَرِ مِنْ المُجَبِّرَةِ مِثْلُ الجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ وَأَمْثَالِهِ، فَقَالُوا: لَيْسَتْ الإِرَادَةُ إِلَّا بِمَعْنَى المَشِيئَةِ، وَالأَمْرُ وَالنَّهْيُ لَا يَسْتَلْزِمُ إِرَادَةً. وَقَالُوا: العَبْدُ لَا فِعْلَ لَهُ أَلْبَتَّةَ وَلَا قُدْرَةَ، بَلْ الله هُوَ الفَاعِلُ القَادِرُ فَقَطْ، وَكَانَ جَهْمٌ مَعَ ذَلِكَ يَنْفِي الأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ، يُذْكَرُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: لَا يُسَمَّى الله شَيْئًا، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ الأَسْمَاءِ الَّتِي تَسَمَّى بِهَا العِبَادُ إِلَّا القَادِرَ فَقَطْ؛ لِأَنَّ العَبْدَ لَيْسَ بِقَادِرٍ.

وَكَانَتْ الخَوَارِجُ قَدْ تَكَلَّمُوا فِي تَكْفِيرِ أَهْلِ الذُّنُوبِ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ، وَقَالُوا: إِنَّهُمْ كُفَّارٌ مُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ، وَخَاضَ فِي ذَلِكَ القَدَرِيَّةُ بَعْدَ مَوْتِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ وَأَصْحَابُهُ: لَا هُمْ مُسْلِمُونَ وَلَا كُفَارٌ، بَلْ لَهُمْ مَنْزِلَةٌ بَيْنَ المَنْزِلَتَيْنِ، وَهُمْ مُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ، فَوَافَقُوا الخَوَارِجَ عَلَى أَنَّهُمْ مُخَلَّدُونَ، وَعَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُمْ مِنْ الإِسْلَامِ وَالإِيمَانِ شَيءٌ، وَلَكِنْ لَمْ يُسَمُّوهُمْ كُفَّارًا، وَاعْتَزَلُوا حَلْقَةَ أَصْحَابِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ، مِثْلِ قَتَادَةَ، وَأَيُّوبَ السَّخْتِيَانِي وَأَمْثَالِهِمَا، فَسُمُّوا مُعْتَزِلَةً مِنْ ذَلِكَ الوَقْتِ بَعْدَ مَوْتِ الحَسَنِ. وَقِيلَ: إِنَّ قَتَادَةَ كَانَ يَقُولُ: أُولَئِكَ المُعْتَزِلَةُ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَتَنَازَعَ النَّاسُ فِي الأَسْمَاءِ وَالأَحْكَامِ أَيْ فِي أَسْمَاءِ الدِّينِ، مِثْلَ مُسْلِمٍ وَمُؤْمِنٍ، وَكَافِرٍ وَفَاسِقٍ، وَفِي أَحْكَامِ هَؤُلَاءِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. فَالمُعْتَزِلَةُ وَافَقُوا الخَوَارِجَ عَلَى حُكْمِهِمْ فِي الآخِرَةِ دُونَ الدُّنْيَا، فَلَمْ يَسْتَحِلُّوا مِنْ دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ مَا اسْتَحَلَّتْهُ الخَوَارِجُ، وَفِي الأَسْمَاءِ أَحْدَثُوا المَنْزِلَةَ بَيْنَ المَنْزِلَتَيْنِ، وَهَذِهِ خَاصَّةُ المُعْتَزِلَةِ الَّتِي انْفَرَدُوا بِهَا، وَسَائِرُ أَقْوَالِهِمْ قَدْ شَارَكَهُمْ فِيهَا غَيْرُهُمْ.

وَحَدَثَتْ المُرْجِئَةُ، وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ، وَلَمْ يَكُنْ أَصْحَابُ عَبْدِ اللهِ مِنْ المُرْجِئَةِ، وَلَا إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِي وَأَمْثَالُهُ، فَصَارُوا نَقِيضَ الخَوَارِجِ وَالمُعْتَزِلَةِ، فَقَالُوا: إِنَّ الأَعْمَالَ لَيْسَتْ مِنْ الإِيمَانِ، وَكَانَتْ هَذِهِ البِدْعَةُ أَخَفَّ البِدَعِ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النِّزَاعِ فِيهَا نِزَاعٌ فِي الِاسْمِ وَاللَّفْظِ دُونَ الحُكْمِ؛ إِذْ كَانَ الفُقَهَاءُ الَّذِينَ يُضَافُ إِلَيْهِمْ هَذَا القَوْلُ، مِثْل حَمَّادِ ابْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ، وَأَبِي حَنِيفَةَ وَغَيْرَهُمَا، هُمْ مَعَ سَائِرِ أَهْلِ السُّنَّةِ مُتَّفِقِينَ عَلَى أَنَّ اللهَ يُعَذِّبُ مَنْ يُعَذِّبُهُ مِنْ أَهْلِ الكَبَائِرِ بِالنَّارِ، ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ بِالشَّفَاعَةِ، كَمَا جَاءَتْ الأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ بِذَلِكَ، وَعَلَى أَنَّهُ لَابُدَّ فِي الإِيمَانِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِلِسَانِهِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَعَلَى أَنَّ الأَعْمَالَ المَفْرُوضَةَ وَاجِبَةٌ وَتَارِكُهَا مُسْتَحِقٌ لِلذَّمِّ وَالْعِقَابِ، فَكَانَ فِي الأَعْمَالِ هَلْ هِيَ مِنْ الإِيمَانِ، وَفِي الاِسْتِثْنَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، عَامَّتُهُ نِزَاعٌ لَفْظِيٌّ، فَإِنَّ الإِيمَانَ إِذَا أُطْلِقَ دَخَلَتْ فِيهِ الأَعْمَالُ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ـ أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً ـ أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ**».

وَإِذَا عُطِفَ عَلَيْهِ العَمَلُ كَقَوْلِهِ: ﮋﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝﮊ [الكهف:107]، فَقَدْ ذُكِرَ مُقَيَّدًا بِالعَطْفِ، فَهُنَا قَدْ يُقَالُ: الأَعْمَالُ دَخَلَتْ فِيهِ وَعُطِفَتْ عَطْفَ الخَاصِّ عَلَى العَامِّ.

وَقَدْ يُقَالُ: لَمْ تَدْخُلْ فِيهِ، وَلَكِنْ مَعَ العَطْفِ كَمَا فِي اسْمِ الفَقِيرِ وَالمِسْكِينِ، إِذَا أُفْرِدَ أَحَدُهُمَا تَنَاوَلَ الآخَرَ، وَإِذَا عُطِفَ أَحَدُهُمَا عَلَى الآخَرِ فَهُمَا صِنْفَانِ كَمَا فِي آيَةِ الصَّدَقَاتِ، كَقَوْلِهِ: ﮋﮡ ﮢ ﮣ ﮤﮊ [التوبة:60]، وَكَمَا فِي آيَةِ الكَفَّارَةِ، كَقَوْلِهِ: ﮋﯙ ﯚ ﯛ ﯜﮊ [المائدة:89]، وَفِي قَوْلِهِ: ﮋﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰﮊ [البقرة:271]، فَالفَقِيرُ وَالمِسْكِينُ شَيْءٌ وَاحِدٌ.

....

....

....

....

....

....

....

....

....

وَهَذَا التَّفْصِيلُ فِي الإيمَانِ هُوَ كَذَلِكَ فِي لَفْظِ البِرّ، وَالتَّقْوَى، وَالمَعْرُوفِ، وَفِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَالمُنْكَرِ، تَخْتَلِفُ دَلَالَتُهَا فِي الإِفْرَادِ وَالاِقْتِرَانِ لِمَنْ تَدَبَّرَ القُرْآنَ، وَقَدْ بُسِطَ هَذَا بَسْطًا كَبِيرًا فِي الْكَلَامِ عَلَى الإيمَانِ، وَشَرْحِ حَدِيثِ جِبْرِيلَ الَّذِي فِيهِ بَيَانُ أَنَّ الإيمَانَ أَصْلُهُ فِي الْقَلْبِ؛ وَهُوَ الإيمَانُ بالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، كَمَا فِي المُسْنَدِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**الإِسْلَامُ عَلَانِيَةٌ وَالْإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ**»، وَقَدْ قَالَ ﷺ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ : «**أَلَا إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ لَهَا سَائِرُ الجَسَدِ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ لَهَا سَائِرُ الجَسَدِ،أَلَا وَهِيَ القَلْبُ**».

فَإِذَا كَانَ الإيمَانُ فِي القَلْبِ فَقَدْ صَلَحَ القَلْبُ، فَيَجِبُ أَنْ يَصْلُحَ سَائِرُ الجَسَدِ؛ فَلِذَلِكَ هُوَ ثَمَرَةُ مَا فِي القَلْبِ؛ فَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ: الأَعْمَالُ ثَمَرَةُ الإيمَانِ، وَصِحَّتُهُ لِمَا كَانَتْ لَازِمَةً لِصَلَاحِ القَلْبِ دَخَلَتْ فِي الِاسْمِ،كَمَا نَطَقَ بِذَلِكَ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَفِي الجُمْلَةِ، الَّذِينَ رُمُوا بِالإِرْجَاءِ مِنْ الأَكَابِرِ، مِثْلِ طَلْقِ بْنِ حَبِيبٍ، وَإِبْرَاهِيمَ التَّيْمِي وَنَحْوِهِمَا: كَانَ إِرْجَاؤُهُمْ مِنْ هَذَا النَّوْعِ، وَكَانُوا أَيْضًا لَايَسْتَثْنُونَ فِي الإِيْمَانِ، وَكَانُوا يَقُولُونَ: الإِيمَانُ هُوَ الإِيمَانُ المَوْجُودُ فِينَا، وَنَحْنُ نَقْطَعُ بِأَنَّا مُصَدِّقُونَ، وَيَرَوْنَ الاَسْتِثْنَاءَ شَكًّا.

وَكَانَ عَبْدُاللهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَأَصْحَابُهُ يَسْتَثْنُونَ، وَقَدْ رُوِىَ فِي حَدِيثٍ أَنَّهُ رَجَعَ عَنْ ذَلِكَ لمَاَ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِ مُعَاذٍ مَا قَالَ، لَكِنَّ أَحْمَدَ أَنْكَرَ هَذَا، وَضَعَّفَ هَذَا الحَدِيثَ، وَصَارَ النَّاسُ فِي الِاسْتِثْنَاءِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ:

قَوْلٌ: أَنَّهُ يَجِبُ الِاسْتِثْنَاءُ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَثْنِ كَانَ مُبْتَدِعًا.

وَقَوْلٌ: أنَّ الِاسْتِثْنَاءَ مَحْظُورٌ؛ فَإِنَّهُ يَقْتَضِى الشَّكَّ فِي الإِيمَانِ.

وَالقَوْلُ الثَّالِثُ ـ أَوْسَطُهَا وَأَعْدَلُهَا ـ: أَنَّهُ يَجُوزُ الِاسْتِثْنَاءُ بِاعْتِبَارٍ، وَتَرْكُهُ بِاعْتِبَارٍ؛ فَإِذَا كَانَ مَقْصُودُهُ أَنِّى لَا أَعْلَمُ أَنِّي قَائِمٌ بِكُلِّ مَا أَوْجَبَ الله عَلَيَّ، وَأَنَّهُ يَقْبَلُ أَعْمَالِي، لَيْسَ مَقْصُودُهُ الشَّكَّ فِيمَا فِي قَلْبِهِ، فَهَذَا اسْتِثْنَاؤُهُ حَسَنٌ وَقَصْدُهُ أَلَّا يُزَكِّي نَفْسَهُ، وَأَلَّا يَقْطَعَ بِأَنَّهُ عَمِلَ عَمَلًا كَمَا أُمِرَ فَقُبِلَ مِنْهُ، وَالذُّنُوبُ كَثِيرَةٌ، وَالنِّفَاقُ مَخُوفٌ عَلَى عَامَّةِ النَّاسِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، لَا يَقُولُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: إِنَّ إِيمَانَهُ كَإِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ.

وَالْبُخَارِيُّ فِي أَوَّلِ صَحِيحِهِ بَوَّبَ أَبْوَابًا فِي الإِيمَانِ وَالرَدِّ عَلَى المُرْجِئَةِ.

وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ مَنْ صَنَّفَ فِي هَذَا البَابِ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ، قَالَ: وَأَبُو حَنِيفَةَ وَأَبُو يُوسُفَ وَمُحَمَّدٌ كَرِهُوا أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: إِيمَانِي كَإِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ ـ قَالَ مُحَمَّدٌ: لِأَنَّهُمْ أَفْضَلُ يَقِينًا ـ أَوْ إِيمَانِي كَإِيمَانِ جِبْرِيلَ، أَوْ إِيمَانِي كَإِيمَانِ أَبِي بَكْرٍ، أَوْ كَإِيمَانِ هَذَا، وَلَكِنْ يَقُولُ: آمَنْتُ بِمَا آمَنَ بِهِ جِبْرِيلُ وَأَبُو بَكْرٍ.

وَأَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ لَا يُجَوِّزُونَ الِاسْتِثْنَاءَ فِي الإِيمَانِ بِكَونِ الأَعْمَالِ مِنْهُ، وَيَذُمُّونَ المُرْجِئَةَ، وَالمُرْجِئَةُ عِنْدَهُمْ: الَّذِينَ لَا يُوجِبُونَ الفَرَائِضَ، وَلَا اجْتِنَابَ الَمحَارِمِ، بَلْ يَكْتَفُونَ بِالإِيمَانِ، وَقَدْ عُلِّلَ تَحْرِيمُ الِاسْتِثْنَاءِ فِيهِ بِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ تَعْلِيقُهُ عَلَى الشَّرْطِ؛ لِأَنَّ المُعَلَّقَ عَلَى الشَّرْطِ لَا يُوجَدُ إِلَا عِنْدَ وُجُودِهِ، كَمَا قَالُوا فِي قَوْلِهِ: أَنْتِ طَالِقٌ إِنْ شَاءَ الله. فَإِذَا عُلِّقَ الإِيمَانُ بِالشَّرْطِ كَسَائِرِ المُعَلَّقَاتِ بِالشَّرْطِ لَا يَحْصُلُ إِلَا عِنْدَ حُصُولِ الشَّرْطِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

قَالُوا: وَشَرْطُ المَشِيئَةِ الَّذِي يَتَرَجَّاهُ القَائِلُ لَا يَتَحَقَّقُ حُصُولُهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، فَإِذَا عَلَّقَ العَزْمَ بِالفِعْلِ عَلَى التَّصْدِيقِ وَالْإِقْرَارِ فَقَدْ ظَهَرَتْ المَشِيئَةُ وَصَحَّ العَقْدُ، فَلَا مَعْنَى لِلاسْتِثْنَاءِ؛ وَلِأَنَّ الاِسْتِثْنَاءُ عَقِبَ الكَلَامِ يَرْفَعُ الكَلَامَ، فَلَا يُبْقَى الإِقْرَارُ بِالإِيمَانِ وَالْعَقْدِ مُؤْمِنًا، وَرُبَّمَا يَتَوَهَّمُ هَذَا الْقَائِلُ القَارِنُ بِالاِسْتِثْنَاءِ عَلَى الإِيمَانِ بَقَاءَ التَّصْدِيقِ، وَذَلِكَ يُزِيلُهُ.

قُلْتُ: فَتَعْلِيلُهُمْ فِي المَسْأَلَةِ إِنَّمَا يَتَوَجَّهُ فِيمَنْ يُعَلِّقُ إِنْشَاءَ الإِيمَانِ عَلَى المَشِيئَةِ، كَالَّذِي يُرِيدُ الدُّخُولَ فِي الإِسْلَامِ، فَيُقَالُ لَهُ: آمِنْ. فَيَقُولُ: أَنَا أُومِنُ إِنْ شَاءَ الله، أَوْ آمَنْتُ إِنْ شَاءَ الله، أَوْ أَسْلَمْتُ إِنْ شَاءَ الله، أَوْ أَشْهَدُ إِنْ شَاءَ الله أَنْ لَا إِلَهَ إِلَا الله، وَأَشْهَدُ إِنْ شَاءَ الله أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَالَّذِينَ اسْتَثْنُوا مِنَ السَّلَفِ وَالخَلَفِ لَمْ يَقْصِدُوا فِي الإِنْشَاءِ، وَإِنَّمَا كَانَ اسْتِثْنَاؤُهُمْ فِي إِخْبَارِهِ عَمَّا قَدْ حَصَلَ لَهُ مِنْ الإِيمَانِ، فَاسْتَثْنَوْا إِمَّا أَنَّ الإِيمَانَ المُطْلَقَ يَقْتَضِي دُخُولَ الجَنَّةِ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الخَاتِمَةَ، كَأَنَّهُ إِذَا قِيلَ لِلرَّجُلِ: أَنْتَ مُؤْمِنٌ. قِيلَ لَهُ: أَنْتَ عِنْدَ الله مُؤْمِنٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَنَا كَذَلِكَ إِنْ شَاءَ الله. أَوْ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ أَتَوْا بِكَمَالِ الإِيمَانِ الوَاجِبِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَلِهَذَا كَانَ مِنْ جَوَابِ بَعْضِهِمْ ـ إِذَا قِيلَ لَهُ: أَنْتَ مُؤْمِنٌ ـ: آمَنْتُ باللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ، فَيَجْزِمُ بِهَذَا وَلَا يُعَلِّقُهُ، أَوْ يَقُولُ: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الإِيمَانَ الَّذِي يَعْصِمُ دَمِي وَمَالِي فَأَنَا مُؤْمِنٌ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ قَوْلَهُ: ﮋ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮌ [الأنفال:2-4]، وَقَوْلَهُ: ﮋ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﮌ [الحجرات: 15]، فَأَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَأَمَّا الإِنْشَاءُ فَلَمْ يَسْتَثْنِ فِيهِ أَحَدٌ، وَلَا شُرِعَ الِاسْتِثْنَاءُ فِيهِ، بَلْ كُلُّ مَنْ آمَنَ وَأَسْلَمَ آمَنَ وَأَسْلَمَ جَزْمًا بِلَا تَعْلِيقٍ.

فَتَبَيَّنَ أَنَّ النِّزَاعَ فِي المَسْأَلَةِ قَدْ يَكُونُ لَفْظِيًا، فَإِنَّ الَّذِي حَرَّمَهُ هَؤُلَاءِ غَيْرُ الَّذِي اسْتَحْسَنَهُ وَأَمَرَ بِهِ أُولَئِكَ، وَمَنْ جَزَمَ جَزَمَ بِمَا فِي قَلْبِهِ مِنْ الحَالِ، وَهَذَا حَقٌّ لَا يُنَافِى تَعْلِيقَ الكَمَالِ وَالعَاقِبَةِ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ عِنْدَهُمْ الأَعْمَالُ لَيْسَتْ مِنْ الإِيمَانِ، فَصَارَ الإِيمَانُ هُوَ الإِسْلَامَ عِنْدَ أُولَئِكَ.

وَالمَشْهُورُ عِنْدَ أَهْلِ الحَدِيثِ: أَنَّهُ لَا يُسْتَثْنَى فِي الإِسْلَامِ.

وَهُوَ المَشْهُورُ عَنْ أَحْمَد، وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ فِيهِ الِاسْتِثْنَاءُ، كَمَا قَدْ بُسِطَ هَذَا فِي شَرْحِ حَدِيثِ جِبْرِيلَ وَغَيْرِهِ مِنْ نُصُوصِ الإِيمَانِ الَّتِي فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَلَوْ قَالَ لِامْرَأَتِهِ: أَنْتِ طَالِقٌ إِنْ شَاءَ الله، فَفِيهِ نِزَاعٌ مَشْهُورٌ، وَقَدْ رَجَّحْنَا التَّفْصِيلَ، وَهُوَ أَنَّ الكَلَامَ يُرَادُ بِهِ شَيْئَانِ:

يُرَادُ بِهِ إِيقَاعُ الطَّلَاقِ تَارَةً،وَيُرَادُ بِهِ مَنْعُ إِيقَاعِهِ تَارَةً.

فَإِنْ كَانَ مُرَادُهُ أَنْتِ طَالِقٌ بِهَذَا اللَّفْظِ، فَقَوْلُهُ: إِنْ شَاءَ الله مِثْلُ قَوْلِهِ: بِمَشِيئَةِ اللهِ، وَقَدْ شَاءَ الله الطَّلَاقَ حِينَ أَتَى بِالتَّطْلِيقِ فَيَقَعُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ عَلَّقَ لِئَلَّا يَقَعَ، أَوْ عَلَّقَهُ عَلَى مَشِيئَةٍ تُوجَدُ بَعْدَ هَذَا لَمْ يَقَعْ بِهِ الطَّلَاقُ حَتَّى يُطَلِّقَ بَعْدَ هَذَا، فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ شَاءَ الله أَنْ تُطَلَّقَ.

وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: المَشِيئَةُ تُنْجِزُهُ، لَيْسَ كَمَا قَالَ، بَلْ نَحْنُ نَعْلَمُ قَطْعًا أَنَّ الطَّلَاقَ لَا يَقَعُ إِلَّا إِذَا طَلُقَتْ المَرْأَةُ، بِأَنْ يُطَلِّقَهَا الزَّوْجُ أَوْ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ، مِنْ وَلِيٍّ أَوْ وَكِيلٍ، فَإِذَا لَمْ يُوجَدْ تَطْلِيقٌ لَمْ يَقَعْ طَلَاقٌ قَطُّ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فَإِذَا قَالَ: أَنْتِ طَالِقٌ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَقَصَدَ حَقِيقَةَ التَّعْلِيقِ لَمْ يَقَعْ إِلَّا بِتَطْلِيقٍ بَعْدَ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ إِذَا قَصَدَ تَعْلِيقَهُ لِئَلَّا يَقَعَ الْآنَ، وَأَمَّا إِنْ قَصَدَ إِيقَاعَهُ الْآنَ وَعَلَّقَهُ بِالمَشِيئَةِ تَوْكِيدًا وَتَحْقِيقًا، فَهَذَا يَقَعُ بِهِ الطَّلَاقُ.

وَمَا أَعْرِفُ أَحَدًا أَنْشَأَ الإِيمَانَ فَعَلَّقَهُ عَلَى المَشِيئَةِ، فَإِذَا عَلَّقَه فَإِنْ كَانَ مَقْصُودُهُ: أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللهُ، أَنَا أُومِنُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَهَذَا لَمْ يَصِرْ مُؤْمِنًا، مِثْلَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: هَلْ تَصِيرُ مِنْ أَهْلِ دِينِ الإِسْلَامِ؟ فَقَالَ: أَصِيرُ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَهَذَا لَمْ يُسْلِمْ، بَلْ هُوَ بَاقٍ عَلَى الكُفْرِ. وَإِنْ كَانَ قَصْدُهُ: إِنِّي قَدْ آمَنْتُ وَإِيمَانِي بِمَشِيئَةِ اللهِ، صَارَ مُؤْمِنًا لَكِنَّ إِطْلَاقَ اللَّفْظِ يَحْتَمِلُ هَذَا وَهَذَا، فَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ مِثْلِ هَذَا اللَّفْظِ فِي الإِنْشَاءِ، وَأَيْضًا فَإِنَّ الأَصْلَ أَنَّهُ إِنَّمَا يُعَلَّقُ بِالمَشِيئَةِ مَا كَانَ مُسْتَقْبَلًا، فَأَمَّا المَاضِي وَالحَاضِرِ فَلَا يُعَلَّقُ بِالمَشِيئَةِ، وَالَّذِينَ اسْتَثْنَوْا لَمْ يَسْتَثْنُوا فِي الإِنْشَاءِ كَمَا تَقَدَّمَ، كَيْفَ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَقُولُوا: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ژ [البقرة:136]، وَقَالَ تَعَالَى: ژ گ ڳ ڳ ڳ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ژ [البقرة:285]، فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ آمَنُوا فَوَقَعَ الإِيمَانُ مِنْهُمْ قَطْعًا بِلَا اسْتِثْنَاءٍ.

....

....

....

....

....

....

....

....

....

وَعَلَى كُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: آمَنَّا بالله وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ـ كَمَا أَمَرَ الله ـ بِلَا اسْتِثْنَاءٍ، وَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ المُسْلِمِينَ مَا اسْتَثْنَى أَحَدٌ مِنْ السَّلَفِ قَطُّ فِي مِثْلِ هَذَا، وَإِنَّمَا الكَلَامُ إِذَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ مُؤْمِنٌ كَمَا يُخْبِرُ عَنْ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ بَرٌّ، تَقِيٌّ. فَقَولُ القَائِلِ لَهُ: أَنْتَ مُؤْمِنٌ هُوَ عِنْدَهُمْ كَقَوْلِهِ: هَلْ أَنْتَ بَرٌّ تَقِيٌّ؟ فَإِذَا قَالَ: أَنَا بَرٌّ تَقِيٌّ، فَقَدْ زَكَّى نَفْسَهُ. فَيَقُولُ: إِنْ شَاءَ الله، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ كَذَلِكَ، وَذَلِكَ أَنَّ الإِيمَانَ التَّامَّ يَتَعَقَّبُهُ قَبُولُ اللهِ لَهُ، وَجَزَاؤُهُ عَلَيْهِ، وَكِتَابَةُ المَلَكِ لَهُ، فَالاِسْتِثْنَاءُ يَعُودُ إِلَى ذَلِكَ لَا إِلَى مَا عَلِمَهُ هُوَ مِنْ نَفْسِهِ وَحَصَلَ وَاسْتَقَرَّ، فَإِنَّ هَذَا لَا يَصِحُّ تَعْلِيقُهُ بِالمَشِيئَةِ، بَلْ يُقَالُ: هَذَا حَاصِلٌ بِمَشِيئَةِ اللهِ وَفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَقَوْلُهُ فِيهِ: إِنْ شِاءَ الله بِمَعْنَى إِذْ شَاءَ الله، وَذَلِكَ تَحْقِيقٌ لَا تَعْلِيقٌ.

وَالرَّجُلُ قَدْ يَقُولُ: وَاللهِ لَيَكُونَنَّ كَذَا إِنْ شَاءَ الله، وَهُوَ جَازِمٌ بِأَنَّهُ يَكُونُ. فَالمُعَلَّقُ هُوَ الفِعْلُ، كَقَوْلِهِ: ﮋﯘﯙﯚﯛﯜﯝﮊ [الفتح:27]، والله عَالِمٌ بِأَنَّهُمْ سَيَدْخُلُونَهُ، وَقَدْ يَقُولُ الآدَمِيُّ: لَأَفْعَلَنَّ كَذَا إِنْ شَاءَ الله وَهُوَ لَا يَجْزِمُ بِأَنَّهُ يَقَعُ، لَكِنْ يَرْجُوهُ فَيَقُولُ: يَكُونُ إِنْ شَاءَ الله، ثُمَّ عَزْمُهُ عَلَيْهِ قَدْ يَكُونُ جَازِمًا، وَلَكِنْ لَا يَجْزِمُ بِوُقُوعِ المَعْزُومِ عَلَيْهِ.

....
....
....
....
....
....
....
....
....

وَقَدْ يَكُونُ العَزْمُ مُتَرَدِّدًا مُعَلَّقًا بِالمَشِيئَةِ أَيْضًا، وَلَكِنْ مَتَى كَانَ المَعْزُومُ عَلَيْهِ مُعَلَّقًا لَزِمَ تَعْلِيقُ بَقَاءِ الْعَزْمِ، فَإِنَّهُ بِتَقْدِيرِ أَنَّ تَعْلِيقَ الْعَزْمِ ابْتِدَاءً أَوْ دَوَامًا فِي مِثْلِ ذَلِكَ.

وَلِهَذَا لَمْ يَحْنَثْ المُطَلِّقُ المُعَلِّقُ وَحَرْفُ(إِنْ) لَا يُبْقِى العَزْمَ، فَلَا بُدَّ إِذَا دَخَلَ عَلَى المَاضِي صَارَ مُسْتَقْبَلًا، تَقُولُ: إِنْ جَاءَ زَيْدٌ كَانَ كَذَلِكَ: ژيدددڎڎڈڈ ژژڑڑکککگژ [البقرة:137].

وَإِذَا أُرِيدَ المَاضِي دَخَلَ حَرْفُ (كَانَ) كَقَوْلِهِ: ژڦ ڦ ڦ ج چژ [آل عمران:31]، فَيُفَرِّقُ بَيْنَ قَوْلِهِ: أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ الله، وَبَيْنَ قَوْلِهِ: إِنْ كَانَ الله شَاءَ إِيمَانِي.

وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ مَقْصُودُهُ: أَنِّي لَا أَعْلَمُ بِمَاذَا يُخْتَمُ لِي، كَمَا قِيلَ لِابْنِ مَسْعُودٍ: إِنَّ فُلَانًا يَشْهَدُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ. قَالَ: فَلْيَشْهَدْ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ.

فَهَذَا مُرَادُهُ إِذَا شَهِدَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ عِنْدَ اللهِ يَمُوتُ عَلَى الإِيمَانِ، وَكَذَلِكَ إِنْ كَانَ مَقْصُودُهُ: إِنَّ إِيمَانِي حَاصِلٌ بِمَشِيئَةِ اللهِ.

وَمَنْ لَمْ يَسْتَثْنِ قَالَ: أَنَا لَا أَشُكُّ فِي إِيمَانِ قَلْبِي، فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يُزَكِّ نَفْسَهُ وَيَقْطَعْ بِأَنَّهُ عَامِلٌ كَمَا أُمِرَ، وَقَدْ تَقَبَّلَ الله عَمَلَهُ، وَإِنْ لَمْ يَقُلْ: إِنَّ إِيمَانَهُ كَإِيمَانِ جِبْرِيلَ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنْ أَقْوَالِ المُرْجِئَةِ، كَمَا كَانَ مِسْعَرُ بْنُ كِدَامٍ يَقُولُ: أَنَا لَا أَشُكُّ فِي إِيمَانِي.

قَالَ أَحْمَدُ: وَلَمْ يَكُنْ مِنَ المُرْجِئَةِ، فَإِنَّ المُرْجِئَةَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: الأَعْمَالُ لَيْسَتْ مِنَ الإِيمَانِ، وَهُوَ كَانَ يَقُولُ: هِيَ مِنَ الإِيمَانِ، لَكِنْ أَنَا لَا أَشُكُّ فِي إِيمَانِي.

وَكَانَ الثَّوْرِيُّ يَقُولُ لِسُفْيَانِ بْنِ عُيَيْنَةَ: أَلَا تَنْهَاهُ عَنْ هَذَا، فَإِنَّهُمَا مِنْ قَبِيلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَقَدْ بُسِطَ الْكَلَامُ عَلَى هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ.

وَالمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ النِّزَاعَ فِي هَذَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ العِلْمِ وَالدِّينِ مِنْ جِنْسِ المُنَازَعَةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْكَامِ، وَكُلُّهُمْ مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ وَالقُرْآنِ.

وَأَمَّا جَهْمٌ، فَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ الإِيمَانَ مُجَرَّدُ تَصْدِيقِ القَلْبِ، وَإِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ، وَهَذَا القَوْلُ لَا يُعْرَفُ عَنْ أَحَدٍ مِنْ عُلَمَاءِ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا، بَلْ أَحْمَدُ وَوَكِيعٌ وَغَيْرُهُمَا كَفَّرُوا مَنْ قَالَ بِهَذَا القَوْلِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَلَكِنْ هُوَ الَّذِي نَصَرَهُ الأَشْعَرِيُّ وَأَكْثَرُ أَصْحَابِهِ، وَلَكِنْ قَالُوا مَعَ ذَلِكَ: إِنَّ كُلَّ مَنْ حَكَمَ الشَّرْعُ بِكُفْرِهِ حَكَمْنَا بِكُفْرِهِ، وَاسْتَدْلَلْنَا بِتَكْفِيرِ الشَّارِعِ لَهُ عَلَى خُلُو قَلْبِهِ مِنْ الَمعْرِفَةِ، وَقَدْ بُسِطَ الكَلَامُ عَلَى أَقْوَالِهِمْ وَأَقْوَالِ غَيْرِهِمْ فِي (الإيمَانِ).

وَالأَصْلُ الَّذِي مِنْهُ نَشَأَ النِّزَاعُ اعْتِقَادُ مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيءٌ مِنْ الكُفْرِ وَالنِّفَاقِ.

وَظَنُّ بَعْضِهِمْ أَنَّ هَذَا إِجْمَاعٌ، كَمَا ذَكَرَ الأَشْعَرِيُّ أَنَّ هَذَا إِجْمَاعٌ، فَهَذَا كَانَ أَصْلَ الإِرْجَاءِ، كَمَا كَانَ أَصْلُ القَدَرِ عَجْزَهُمْ عَنْ الإِيمَانِ بِالشَّرْعِ وَالْقَدَرِ جَمِيعًا، فَلَمَّا كَانَ هَذَا أَصْلَهُمْ صَارُوا حِزْبَيْنِ.

قَالَتْ الخَوَارِجُ وَالمُعْتَزِلَةُ: قَدْ عَلِمْنَا يَقِينًا أَنَّ الأَعْمَالَ مِنْ الإِيمَانِ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ تَرَكَ بَعْضَ الإِيمَانِ، وَإِذَا زَالَ بَعْضُهُ زَالَ جمَيعُهُ؛ لِأَنَّ الإِيمَانَ لَا يَتَبَعَّضُ، وَلَا يَكُونُ فِي العَبْدِ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ، فَيَكُونُ أَصْحَابُ الذُّنُوبِ مُخَلَّدِينَ فِي النَّارِ؛ إِذْ كَانَ لَيْسَ مَعَهُمْ مِنْ الإِيمَانِ شَيْءٌ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَقَالَتْ المُرْجِئَةُ ـ مُقْتَصِدَتُهُمْ وَغُلَاتُهُمْ كَالجَهْمِيَّةِ ـ: قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ أَهْلَ الذُّنُوبِ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ لَا يُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ، بَلْ يَخْرُجُونَ مِنْهَا كَمَا تَوَاتَرَتْ بِذَلِكَ الأَحَادِيثُ.

وَعَلِمْنَا بِالكَتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الأَئِمَّةِ أَنَّهُمْ لَيْسُوا كُفَّارًا مُرْتَدِّينَ؛ فَإِنَّ الكِتَابَ قَدْ أَمَرَ بِقَطْعِ السَّارِقِ لَا بِقَتْلِهِ، وَجَاءَتْ السُّنَّةُ بِجَلْدِ الشَارِبِ لَا بِقَتْلِهِ، فَلَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ كُفَّارًا مُرْتَدِّينَ لَوَجَبَ قَتْلُهُمْ؛ وَبِهَذَا ظَهَرَ لِلْمُعْتَزِلَةِ ضَعْفُ قَوْلِ الخَوَارِجِ فَخَالَفُوهُمْ فِي أَحْكَامِهِمْ فِي الدُّنْيَا.

وَالخَوَارِجُ لَا يَتَمَسَّكُونَ مِنْ السُّنَّةِ إِلَّا بِمَا فَسَّرَ مُجْمَلَهَا، دُونَ مَا خَالَفَ ظَاهِرَ القُرْآنِ عِنْدَهُمْ، فَلَا يَرْجُمُونَ الزَّانِي، وَلَا يَرَوْنَ لِلسَّرِقَةِ نِصَابًا، وَحِينَئِذٍ فَقَدْ يَقُولُونَ: لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ قَتْلُ المُرْتَدِّ، فَقَدْ يَكُونُ المُرْتَدُّ عِنْدَهُمْ نَوْعَيْنِ.

وَأَقْوَالُ الخَوَارِجِ إِنَّمَا عَرَفْنَاهَا مِنْ نَقْلِ النَّاسِ عَنْهُمْ، لَمْ نَقِفْ لَهُمْ عَلَى كِتَابٍ مُصَنَّفٍ، كَمَا وَقَفْنَا عَلَى كُتُبِ المُعْتَزِلَةِ، وَالرَّافِضَةِ، وَالزَّيْدِيَّةِ، وَالكَرَّامِيَّةِ، وَالْأَشْعَرِيَّةِ، وَالسَّالِمِيَّةِ، وَأَهْلِ المَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ، وَالظَاهِرِيَّةِ، وَمَذَاهِبِ أَهْلِ الحَدِيثِ، وَالفَلَاسِفَةِ، وَالصُّوفِيَّةِ، وَنَحْوِ هَؤُلَاءِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَقَدْ بُسِطَ الكَلَامُ عَلَى تَفْصِيلِ الْقَوْلِ فِي أَقْوَالِ هَؤُلَاءِ فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ.

وَإِنَّ النَّاسَ فِي تَرْتِيبِ أَهْلِ الأَهْوَاءِ عَلَى أَقْسَامٍ:

مِنْهُمْ مَنْ يُرَتِّبُهُمْ عَلَى زَمَانِ حُدُوثِهِمْ، فَيَبْدَأُ بِالخَوَارِجِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يُرَتِّبُهُمْ بِحَسَبِ خِفَّةِ أَمْرِهِمْ وَغِلَظِهِ فَيَبْدَأُ بِالمُرْجِئَةِ، وَيَخْتِمُ بِالجَهْمِيَّةِ، كَمَا فَعَلَهُ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَدْ رَضِيَ الله عَنْهُ كَعَبْدِ اللهِ ابْنِهِ وَنَحْوِهِ، وَكَالخَلَّالِ، وَأَبِي عَبْدِاللهِ ابْنِ بَطَّةَ، وَأَمْثَالِهِمَا، وَكَأَبِي الفَرَجِ المَقْدِسِي، وَكِلَا الطَّائِفَتَيْنِ تَخْتِمُ بِالجَهْمِيَّةِ؛ لِأَنَّهُمْ أَغْلَظُ البِدَعِ، وَكَالْبُخَارِيِّ فِي صَحِيحِهِ فَإِنَّهُ بَدَأَ بِـ (كِتَابِ الإِيمَانِ وَالرَّدِّ عَلَى المُرْجِئَةِ)، وَخَتَمَهُ (بِكِتَابِ التَّوْحِيدِ وَالرَّدِّ عَلَى الزَّنَادِقَةِ وَالجَهْمِيَّةِ).

وَلَمَّا صَنَّفَ الكُتَّابُ فِي الكَلَامِ صَارُوا يُقَدِّمُونَ التَّوْحِيدَ وَالصِّفَاتِ، فَيَكُونُ الكَلَامُ أَوَّلًا مَعَ الجَهْمِيَّةِ، وَكَذَلِكَ رَتَّبَ أَبُو القَاسِمِ الطَّبَرِي كِتَابَه فِي (أُصُولِ السُّنَّةِ)، وَالْبَيْهَقِي أَفْرَدَ لِكُلِّ صِنْفِ مُصَنَّفًا، فَلَهُ مُصَنَّفٌ فِي الصِّفَاتِ، وَمُصَنَّفٌ فِي القَدَرِ، وَمُصَنَّفٌ فِي شُعَبِ الإِيمَانِ، وَمُصَنَّفٌ فِي دَلَائِلِ النُّبُوةِ، وَمُصَنَّفٌ فِي البَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَبَسْطُ هَذِهِ الأُمُورِ لَهُ مَوْضِعٌ آخَرُ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَالمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ مَنْشَأَ النِّزَاعِ فِي (الأَسْمَاءِ وَالأَحْكَامِ) فِي الإِيمَانِ وَالإِسْلَامِ أَنَّهُمْ لمَّا ظَنُّوا أَنَّهُ لَا يَتَبَعَّضُ، قَالَ أُولَئِكَ: فَإِذَا فَعَلَ ذَنْبًا زَالَ بَعْضُهُ فَيَزُولُ كُلُّهُ فَيَخْلُدُ فِي النَّارِ.

فَقَالَتْ الجَهْمِيَّةُ وَالمُرْجِئَةُ: قَدْ عَلِمْنَا أَنَّهُ لَيْسَ يَخْلُدُ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ كَافِرًا مُرْتَدًّا، بَلْ هُوَ مِنْ المُسْلِمِينَ، وَإِذَا كَانَ مِنْ المُسْلِمِينَ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا تَامَّ الإِيمَانِ، لَيْسَ مَعَهُ بَعْضُ الإِيمَانِ؛ لِأَنَّ الإِيمَانَ عِنْدَهُمْ لَا يَتَبَعَّضُ، فَاحَتَاجُوا أَنْ يَجْعَلُوا الإِيمَانَ شَيْئًا وَاحِدًا يَشْتَرِكُ فِيهِ جَمِيعُ أَهْلِ القِبْلَةِ.

فَقَالَ فُقَهَاءُ المُرْجِئَةِ: هُوَ التَّصْدِيقُ بِالقَلْبِ وَالْقَوْلُ بِاللِّسَانِ.

فَقَالَتْ الجَهْمِيَّةُ بَعْدَ تَصْدِيقِ اللِّسَانِ قَدْ لَا يَجِبُ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ أَخْرَسَ، أَوْ كَانَ مُكْرَهًا فَالَّذِي لَابُدَّ مِنْهُ تَصْدِيقُ القَلْبِ.

وَقَالَتْ المُرْجِئَةُ: الرَّجُلُ إِذَا أَسْلَمَ كَانَ مُؤْمِنًا قَبْلَ أَنْ يَجِبَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ الْأَفْعَالِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَأَنْكَرَ كُلُّ هَذِهِ الطَّوَائِفِ أَنَّهُ يَنْقُصُ، وَالصَّحَابَةُ قَدْ ثَبَتَ عَنْهُمْ أَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَهُوَ قَوْلُ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ.

وَكَانَ ابْنُ المُبَارَكِ يَقُولُ: هُوَ يَتَفَاضَلُ وَيَتَزَايَدُ وَيُمْسِكُ عَنْ لَفْظِ (يَنْقُصُ). وَعَنْ مَالِكٍ - فِي كَوْنِهِ لَا يَنْقُصُ - رِوَايَتَانِ.

وَالْقُرْآنُ قَدْ نَطَقَ بِالزِّيَادَةِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، وَدَلَّتْ النُّصُوصُ عَلَى نَقْصِهِ كَقَوْلِهِ: «**لَا يَزْنِى الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»، وَنَحْوِ ذَلِكَ، لَكِنْ لَمْ يُعْرَفْ هَذَا اللَّفْظُ إِلَّا فِي قَوْلِهِ ﷺ فِي النِّسَاءِ: «**نَاقِصَاتُ عَقْلٍ وَدِينٍ**»، وَجَعَلَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا أَنَّهَا إِذَا حَاضَتْ لَا تَصُومُ وَلَا تُصَلِّي، وَبِهَذَا اسْتَدَلَّ غَيْرُ وَاحِدٍ عَلَى أَنَّهُ يَنْقُصُ.

وَذَلِكَ أَنَّ أَصْلَ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّ الإِيمَانَ يَتَفَاضَلُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

مِنْ جِهَةِ أَمْرِ الرَّبِّ، وَمِنْ جِهَةِ فِعْلِ العَبْدِ.

أَمَّا الْأَوَّلُ: فَإِنَّهُ لَيْسَ الإِيمَانِ الَّذِي أُمِرَ بِهِ شَخْصٌ مِنْ المُؤْمِنِينَ هُوَ الإِيمَانُ الَّذِي أُمِرَ بِهِ كُلُّ شَخْصٍ، فَإِنَّ المُسْلِمِينَ فِي أَوَّلِ الأَمْرِ كَانُوا مَأْمُورِينَ بِمِقْدَارٍ مِنْ الإِيمَانِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أُمِرُوا بِغَيْرِ ذَلِكَ، وَأُمِرُوا بِتَرْكِ مَا كَانُوا مَأْمُورِينَ بِهِ كَالْقِبْلَةِ، فَكَانَ مِنَ الإِيمَانِ فِي أَوَّلِ الأَمْرِ الإِيمَانُ بِوُجُوبِ اسْتِقْبَالِ بَيْتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ صَارَ مِنْ الإِيمَانِ تَحْرِيمُ اسْتِقْبَالِهِ وَوُجُوبُ اسْتِقْبَالِ الكَعْبَةِ، فَقَدْ تَنَوَّعَ الإِيمَانُ فِي الشَّرِيعَةِ الوَاحِدَةِ.

وَأَيْضًا، فَمَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الحَجُّ وَالزَّكَاةُ أَوْ الجِهَادُ يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ الإِيمَانِ أَنْ يَعْلَمَ مَا أُمِرَ بِهِ وَيُؤْمِنَ بِأَنَّ اللهَ أَوْجَبَ عَلَيْهِ مَا لَا يَجِبُ عَلَى غَيْرِهِ إِلَّا مُجْمَلًا، وَهَذَا يَجِبُ عَلَيْهِ فِيهِ الإِيمَانُ المُفَصَّلُ.

وَكَذَلِكَ الرَّجُلُ أَوَّلَ مَا يُسْلِمُ إِنَّمَا يَجِبُ عَلَيْهِ الإِقْرَارُ المُجْمَلُ، ثُمَّ إِذَا جَاءَ وَقْتُ الصَّلَاةِ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُؤْمِنَ بِوُجُوبِهَا وَيُؤَدِّيهَا، فَلَمْ يَتَسَاوَ النَّاسُ فِيمَا أُمِرُوا بِهِ مِنْ الإِيمَانِ.

وَهَذَا مِنْ أُصُولِ غَلَطِ المُرْجِئَةِ؛ فَإِنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَأَنَّهُ يَسْتَوِي فِيهِ جَمِيعُ المُكَلَّفِينَ، فَقَالُوا: إِيمَانُ المَلَائِكَةِ وَالأَنْبِيَاءِ وَأَفْسَقِ النَّاسِ سَوَاءٌ؛ كَمَا أَنَّهُ إِذَا تَلَفَّظَ الفَاسِقُ بِالشَّهَادَتَيْنِ أَوْ قَرَأَ فَاتِحَةَ الكِتَابِ كَانَ لَفْظُهُ كَلَفْظِ غَيْرِهِ مِنْ النَّاسِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فَيُقَالُ لَهُمْ: قَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الإِيمَانَ الَّذِي أَوْجَبَهُ الله عَلَى عِبَادِهِ يَتَنَوَّعُ وَيَتَفَاضَلُ وَيَتَبَايَنُونَ فِيهِ تَبَايُنًا عَظِيمًا، فَيَجِبُ عَلَى المَلَائِكَةِ مِنْ الإِيمَانِ مَا لَا يَجِبُ عَلَى البَشَرِ، وَيَجِبُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ مِنْ الإِيمَانِ مَا لَا يَجِبُ عَلَى غَيْرِهِمْ،وَيَجِبُ عَلَى العُلَمَاءِ مَا لَا يَجِبُ عَلَى غَيْرِهِمْ، وَيَجِبُ عَلَى الأُمَرَاءِ مَا لَا يَجِبُ عَلَى غَيْرِهِمْ، وَلَيْسَ المُرَادُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ العَمَلِ فَقَطْ، بَلْ وَمِنْ التَّصْدِيقِ وَالْإِقْرَارِ.

فَإِنَّ النَّاسَ ـ وَإِنْ كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِمُ الإِقْرَارُ المُجْمَلُ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ـ فَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْرِفُونَ تَفْصِيلَ كُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ، وَمَا لَمْ يَعْلَمُوهُ كَيْفَ يُؤْمَرُونَ بِالْإِقْرَارِ بِهِ مُفَصَّلًا، وَمَا لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ الْعَبْدُ مِنْ الْأَعْمَالِ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ مَعْرِفَتُهُ وَمَعْرِفَةِ الْأَمْرِ بِهِ، فَمَنْ أُمِرَ بِحَجٍّ وَجَبَ عَلَيْهِ مَعْرِفَةُ مَا أُمِرَ بِهِ مِنْ أَعْمَالِ الحَجِّ وَالْإِيمَانِ بِهَا، فَيَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ الْإِيمَانِ وِالْعَمَلِ مَا لَا يَجِبُ عَلَى غَيْرِهِ، وَكَذَلِكَ مَنْ أُمِرَ بِالزَّكَاةِ يَجِبُ عَلَيْهِ مَعْرِفَةُ مَا أَمَرَ الله بِهِ مِنْ الزَّكَاةِ، وَمِنْ الْإِيمَانِ بِذَلِكَ وَالْعَمَلِ بِهِ مَا لَا يَجِبُ عَلَى غَيْرِهِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فَيَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ مَالَا يَجِبُ عَلَى غَيْرِهِ إذَا جَعَلَ الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ لَيْسَا مِنْ الْإِيمَانِ، وَإِنْ جَعَلَ جَمِيعَ ذَلِكَ دَاخِلًا فِي مُسَمَّى الْإِيمَانِ كَانَ أَبْلَغَ، فَبِكُلِّ حَالٍ قَدْ وَجَبَ عَلَيْهِ مِنْ الْإِيمَانِ مَا لَا يَجِبُ عَلَى غَيْرِهِ.

وَلِهَذَا كَانَ مِنْ النَّاسِ مَنْ قَدْ يُؤْمِنُ بِالرَّسُولِ مُجْمَلًا، فَإِذَا جَاءَتْ أُمُورٌ أُخْرَى لَمْ يُؤْمِنْ بِهَا فَيَصِيرُ مُنَافِقًا، مِثْلَ طَائِفَةٍ نَافَقَتْ لمَّا حُوِّلَتْ القِبْلَةُ إِلَى الكَعْبَةِ، وَطَائِفَةٍ نَافَقَتْ لمَّا انْهَزَمَ المُسْلِمُونَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَلِهَذَا وَصَفَ الله المُنَافِقِينَ فِي الْقُرْآنِ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ فِي سُورَةِ المُنَافِقِينَ، وَذَكَرَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي سُورَةِ البَقَرَةِ، فَقَالَ: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ژ [البقرة:١٧-١٨]، وَقَالَ طَائِفَةٌ مِنْ السَّلَفِ: عَرَفُوا ثُمَّ أَنْكَرُوا، وَأَبْصَرُوا ثُمَّ عَمُوا.

فَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ أَوَّلًا إِيمَانًا مُجْمَلًا، ثُمَّ يَأْتِي أُمُورٌ لَا يُؤْمِنُ بِهَا فَيُنَافِقُ فِي البَاطِنِ، وَمَا يُمْكِنُهُ إِظْهَارُ الرِّدَّةِ بَلْ يَتَكَلَّمُ بِالنِّفَاقِ مَعَ خَاصَّتِهِ، وَهَذَا كَمَا ذَكَرَ الله عَنْهُمْ فِي الجِهَادِ فَقَالَ: ژ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ژ [محمد:٢٠-٢١].

وَبِالجُمْلَةِ: فَلَا يُمْكِنُ المُنَازَعَةُ أَنَّ الإِيمَانَ الَّذِي أَوْجَبَهُ الله يَتَبَايَنُ فِيهِ أَحْوَالُ النَّاسِ، وَيَتَفَاضَلُونَ فِي إِيمَانِهِمْ وَدِينِهِمْ بَحَسْبِ ذَلِكَ؛ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي النِّسَاءِ: «**نَاقِصَاتُ عَقْلٍ وَدِينٍ**»، وَقَالَ فِي نُقْصَانِ دِينِهِنَّ: «**إِنَّهَا إِذَا حَاضَتْ لَا تَصُومُ وَلَا تُصَلِّي**»، وَهَذَا مِمَّا أَمَرَ الله بِهِ، فَلَيْسَ هَذَا النَّقْصُ دِينًا لَهَا تُعَاقَبْ عَلَيْهِ، لَكِنْ هُوَ نَقْصٌ، حَيْثُ لَمْ تُؤْمَرْ بِالْعِبَادَةِ فِي هَذَا الْحَالِ، وَالرَّجُلُ كَامِلٌ حَيْثُ أُمِرَ بِالْعِبَادَةِ فِي كُلِّ حَالٍ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ مَنْ أُمِرَ بِطَاعَةٍ يَفْعَلُهَا كَانَ أَفْضَلُ مِمَّنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِهَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَاصِيًا، فَهَذَا أَفْضَلُ دِينًا وَإِيمَانًا.

....
....
....
....
....
....
....
....
....

وَهَذَا المَفْضُولُ لَيْسَ بِمُعَاقَبٍ وَمَذْمُومٍ، فَهَذِهِ زِيَادَةٌ كَزِيَادَةِ الإِيمَانِ بِالتَّطَوُعَاتِ، لَكِنَّ هَذِهِ زِيَادَةٌ بِوَاجِبٍ فِي حَقِّ شَخْصٍ، وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ فِي حَقِّ شَخْصٍ غَيْرِهِ، فَهَذِهِ الزِّيَادَةُ لَوْ تَرَكَهَا هَذَا لَا يَسْتَحِقُّ الْعِقَابَ بِتَرْكِهَا، وَذَاكَ لَا يَسْتَحِقُّ الْعِقَابَ بِتَرْكِهَا، وَلَكِنَّ إِيمَانَ ذَلِكَ أَكْمَلُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**». فَهَذَا يُبَيِّنُ تَفَاضُلَ الإِيمَانِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ بِهِ، وَفِي نَفْسِ الْأَخْبَارِ الَّتِي يَجِبُ التَّصْدِيقُ بِهَا.

وَالنَّوْعُ الثَّانِي: هُوَ تَفَاضُلُ النَّاسِ فِي الْإِتْيَانِ بِهِ مَعَ اسْتِوَائِهِمْ فِي الْوَاجِبِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُظَنُّ أَنَّهُ مَحَلُّ النِّزَاعِ وَكِلَاهُمَا مَحَلُّ النِّزَاعِ. وَهَذَا أَيْضًا يَتَفَاضَلُونَ فِيهِ، فَلَيْسَ إِيمَانُ السَّارِقِ وَالزَّانِي وَالشَّارِبِ كَإِيمَانِ غَيْرِهِمْ، وَلَا إِيمَانُ مَنْ أَدَّى الوَاجِبَاتِ كَإِيمَانِ مَنْ أَخَلَّ بِبَعْضِهَا، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ دِينُ هَذَا وَبِرُّهُ وَتَقْوَاهُ مِثْلَ دِينِ هَذَا وَبِرِّهِ وَتَقْوَاهُ، بَلْ هَذَا أَفْضَلُ دِينًا وَبِرًّا وَتَقْوَى، فَهُوَ كَذَلِكَ أَفْضَلُ إِيمَانًا، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**».

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَقَدْ يَجْتَمِعُ فِي الْعَبْدِ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا اُؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**».

وَأَصْلُ هَؤُلَاءِ: أَنَّ الإِيمَانَ لَا يَتَبَعَّضُ وَلَا يَتَفَاضَلُ، بَلْ هُوَ شَيءٌ وَاحِدٌ يَسْتَوِي فِيهِ جَمِيعُ الْعِبَادِ فِيمَا أَوْجَبَهُ الرَّبُّ مِنْ الإِيمَانِ، وَفِيمَا يَفْعَلُهُ العَبْدُ مِنْ الْأَعْمَالِ، فَغَلِطُوا فِي هَذَا وَهَذَا ثُمَّ تَفَرَّقُوا، كَمَا تَقَدَّمَ.

وَصَارَتْ المُرْجِئَةُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ:

فَعُلَمَاؤُهُمْ وَأَئِمَّتُهُمْ أَحْسَنُهُمْ قَوْلًا؛ وَهُوَ أَنْ قَالُوا: الْإِيمَانُ تَصْدِيقُ الْقَلْبِ وَقَوْلُ اللِّسَانِ.

وَقَالَتْ الجَهْمِيَّةُ: هُوَ تَصْدِيقُ الْقَلْبِ فَقَطْ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَقَالَتْ الْكَرَّامِيَّةُ: هُوَ الْقَوْلُ فَقَطْ، فَمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ كَامِلُ الْإِيمَانِ، لَكِنْ إنْ كَانَ مُقِرًّا بِقَلْبِهِ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مُكَذِّبًا بِقَلْبِهِ كَانَ مُنَافِقًا مُؤْمِنًا مِنْ أَهْلِ النَّارِ. وَهَذَا القَوْلُ هُوَ الَّذِي اخْتَصَّتْ بِهِ الكَرَّامِيَّةُ وَابْتَدَعَتْهُ، وَلَمْ يَسْبِقْهَا أَحَدٌ إلَى هَذَا الْقَوْلِ، وَهُوَ آخِرُ مَا أُحْدِثَ مِنْ الْأَقْوَالِ فِي الإِيمَانِ.

وَبَعْضُ النَّاسِ يُحْكَي عَنْهُمْ أَنَّ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَهُوَ غَلَطٌ عَلَيْهِمْ، بَلْ يَقُولُونَ: إنَّهُ مُؤْمِنٌ كَامِلُ الْإِيمَانِ، وَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيَلْزَمُهُمْ أَنْ يَكَونَ المُؤْمِنُ الْكَامِلُ الإِيمَانِ مُعَذَّبًا فِي النَّارِ، بَلْ يَكُونُ مُخَلَّدًا فِيهَا. وَقَدْ تَوَاتَرَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**يَخْرُجُ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إيمَانْ**».

وَإِنْ قَالُوا: لَا يَخْلُدُ وَهُوَ مُنَافِقٌ، لَزِمَهُمْ أَنْ يَكُونَ المُنَافِقُونَ يَخْرُجُونَ مِنْ النَّارِ، وَالمُنَافِقُونَ قَدْ قَالَ الله فِيهِمْ: ژ ﮯ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ژ [النساء:145].

وَقَدْ نَهَى الله نَبِيَّهُ عَنْ الصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ وَالْاسْتِغْفَارِ لَهُمْ،وَقَالَ لَهُ: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﮊ [التوبة:80]، وقال: ﮋ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﮊ [التوبة:84]، وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بالله وَرَسُولِهِ.

فَإِنْ قَالُوا: هَؤُلَاءِ قَدْ كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ سِرًّا فَكَفَرُوا بِذَلِكَ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مُؤْمِنًا إِذَا تَكَلَّمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِمَا يَنْقُضُهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ رِدَّةٌ عَنْ الْإِيمَانِ، قِيلَ لَهُمْ: وَلَوْ أَضْمَرُوا النِّفَاقَ وَلَمْ يَتَكَلَّمُوا بِهِ كَانُوا مُنَافِقِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﮋ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮊ [التوبة:64].

وَأَيْضًا، قَدْ أَخْبَرَ الله عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَأَنَّهُمْ كَاذِبُونَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﮋ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﮊ [البقرة:8].

وَقَالَ تَعَالَى: ژ ککگ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ٹ ژ [المنافقون:1].

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْإِسْلَامُ عَلَانِيةٌ، وَالْإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ**»، وَقَدْ قَالَ الله تَعَالَى: ژ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ژ [الحجرات:14].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ سَعْدٍ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَعْطَى رِجَالًا وَلَمْ يُعْطِ رَجُلًا. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْطَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا، وَتَرَكْتَ فُلَانًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ؟ فَقَالَ: «**أَوْ مُسْلِمٌ**» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا. وَبَسْطُ الْكَلَامِ فِي هَذَا لَهُ مَوَاضِعُ أُخَرُ، وَقَدْ صَنَّفْتُ فِي ذَلِكَ مُجَلَّدًا غَيْرَ مَا صَنَّفْتُ فِيهِ غَيْرَ ذَلِكَ.

وَكَلَامُ النَّاسِ فِي هَذَا الِاسْمِ وَمُسَمَّاهُ كَثِيرٌ؛ لِأَنَّهُ قُطْبُ الدِّينِ الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ فِي الْقَوْلِ اسْمٌ عُلِّقَ بِهِ السَّعَادَةُ وَالشَّقَاءُ، وَالمَدْحُ وَالذَّمُّ، وَالثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، أَعْظَمَ مِنْ اسْمِ الإِيمَانِ وَالْكُفْرِ؛ وَلِهَذَا سُمِّيَ هَذَا الْأَصْلُ: (مَسَائِلَ الْأَسْمَاءِ وَالْأَحْكَامِ).

....

....

....

....

....

....

....

....

....

وَقَدْ رَأَيْتُ لِابْنِ الهَيْصَمِ فِيهِ مُصَنَّفًا فِي أَنَّهُ قَوْلُ اللِّسَانِ فَقَطْ، وَرَأَيْتُ لِابْنِ البَاقِلَانِي فِيهِ مُصَنَّفًا أَنَّهُ تَصْدِيقُ القَلْبِ فَقَطْ، وَكِلَاهُمَا فِي عَصْرٍ وَاحِد، وَكِلَاهُمَا يَرُدُّ عَلَى المُعْتَزِلَةِ وَالرَّافِضَةِ.

وَالمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ السَّلَفَ كَانَ اعْتِصَامُهُمْ بِالْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ. فَلَمَّا حَدَثَ فِي الْأُمَّةِ مَا حَدَثَ مِنْ التَّفَرُّقِ وَالاخْتِلَافِ صَارَ أَهْلُ التَّفَرُّقِ وَالإِخْتِلَافِ شِيَعًا. صَارَ هَؤُلَاءِ عُمْدَتُهُمْ فِي البَاطِنِ لَيْسَتْ عَلَى القُرْآنِ وَالإِيمَانِ، وَلَكِنْ عَلَى أُصُولٍ ابْتَدَعَهَا شُيُوخُهُمْ، عَلَيْهَا يَعْتَمِدُونَ فِي التَّوحِيدِ وَالصِّفَاتِ وَالْقَدَرِ وَالإِيمَانِ بِالرَّسُولِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، ثُمَّ مَا ظَنُّوا أَنَّهُ يُوَافِقُهَا مِنْ القُرْآنِ احْتَجُّوا بِهِ، وَمَا خَالَفَهَا تَأَوَّلُوهُ؛ فَلِهَذَا تَجِدُهُمْ إِذَا احْتَجُّوا بِالْقُرْآنِ وَالحَدِيثِ لَمْ يَعْتَنُوا بِتَحْرِيرِ دَلَالَتِهِمَا، وَلَمْ يَسْتَقْصُوا مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ ذَلِكَ المَعْنَىَ؛ إِذْ كَانَ اعْتِمَادُهُمْ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَالْآيَاتُ الَّتِي تُخَالِفُهُمْ يَشْرَعُونَ فِي تَأْوِيلِهَا شُرُوعَ مَنْ قَصَدَ رَدَّهَا كَيْفَ أَمْكَنَ؛لَيْسَ مَقْصُودُهُ أَنْ يُفْهَمَ مُرَادَ الرَّسُولِ، بَلْ أَنْ يَدْفَعَ مُنَازِعَهُ عَنْ الِاحْتِجَاجِ بِهَا.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَلِهَذَا قَالَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ ـ كَأَبِي الْحُسَيْنِ البَصْرِيِّ وَمَنْ تَبِعَهُ كَالرَّازِيِّ وَالآمِدِيِّ وَابْنِ الحَاجِبِ ـ: إِنَّ الأُمَّةَ إِذَا اخْتَلَفَتْ فِي تَأْوِيلِ الْآيَةِ عَلَى قَوْلَيْنِ، جَازَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ إِحْدَاثُ قَوْلٍ ثَالِثٍ، بِخِلَافِ مَا إِذَا اخْتَلَفُوا فِي الْأَحْكَامِ عَلَى قَوْلَيْنِ.

فَجَوَّزُوا أَنْ تَكُونَ الْأُمَّةُ مُجْتَمِعَةً عَلَى الضَّلَالِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، وَأَنْ يَكُونَ الله أَنْزَلَ الْآيَةَ وَأَرَادَ بِهَا مَعْنَىً لَمْ يَفْهَمْهُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ، وَلَكِنْ قَالُوا: إِنَّ اللهَ أَرَادَ مَعْنَىً آخَرَ، وَهُمْ لَوْ تَصَوَّرُوا هَذِهِ الَمقَالَةَ لَمْ يَقُولُوا هَذَا؛ فَإِنَّ أَصْلَهُمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَلَا يَقُولُونَ قَوْلَيْنِ كِلَاهُمَا خَطَأٌ.

وَالصَّوَابُ قَوْلٌ ثَالِثٌ لَمْ يَقُولُوهُ، لَكِنْ قَدْ اعْتَادُوا أَنْ يَتَأَوَّلُوا مَا خَالَفَهُمْ، وَالتَّأْوِيلُ عِنْدَهُمْ مَقْصُودُهُ بَيَانُ احْتِمَالٍ فِي لَفْظِ الْآيَةِ بِجَوَازِ أَنْ يُرَادَ ذَلِكَ المَعْنَى بِذَلِكَ اللَّفْظِ، وَلَمْ يَسْتَشْعِرُوا أَنَّ المُتَأَوِّلَ هُوَ مُبَيِّنٌ لِمُرادِ الْآيَةِ، مُخْبِرٌ عَنْ اللهِ تَعَالَى أَنَّهُ أَرَادَ هَذَا المَعْنَى إِذَا حَمَلَهَا عَلَى مَعْنَىً.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَكَذَلِكَ إِذَا قَالُوا: يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهَا هَذَا المَعْنَى، وَالْأُمَّةُ قَبْلَهُمْ لَمْ يَقُولُوا: أُرِيدَ بِهَا إِلَّا هَذَا أَوْ هَذَا، فَقَدْ جَوَّزُوا أَنْ يَكُونَ مَا أَرَادَهُ الله لَمْ يُخْبِرْ بِهِ الأُمَّةَ، وَأَخْبَرَتْ أَنَّ مُرَادَهُ غَيْرَ مَا أَرَادَهُ، لَكِنْ الَّذِي قَالَهُ هَؤُلَاءِ يَتَمَشَّى إِذَا كَانَ التَّأْوِيلُ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ هَذَا المَعْنَى مِنْ غَيْرِ حُكْمٍ بِأَنَّهُ مُرَادٌ، وَتَكُونُ الْأُمَّةُ قَبْلَهُمْ كُلُّهَا كَانَتْ جَاهِلَةً بِمُرَادِ اللهِ، ضَالَّةً عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَانْقَرَضَ عَصْرُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا مَعْنَى الْآيَةِ، وَلَكِنْ طَائِفَةٌ قَالَتْ: يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ هَذَا المَعْنَى.

وَطَائِفَةٌ قَالَتْ: يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ هَذَا المَعْنَى، وَلَيْسَ فِيهِمْ مَنْ عَلِمَ المُرَادَ.

فَجَاءَ الثَّالِثُ وَقَالَ: هَاهُنَا مَعْنَىً يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هُوَ المُرَادَ. فَإِذَا كَانَتْ الْأُمَّةُ مِنْ الجَهْلِ بِمَعَانِي الْقُرْآنِ وَالضَّلَالِ عَنْ مُرَادِ الرَّبِّ بِهَذِهِ الحَالِ تَوَجَّهَ مَا قَالُوهُ، وَبَسْطُ هَذَا لَهُ مَوْضِعٌ آخَرُ.

وَالمَقْصُودُ: أَنَّ كَثِيرًا مِنْ المُتَأَخِّرِينَ لَمْ يَصِيرُوا يَعْتَمِدُونَ فِي دِينِهِمْ لَا عَلَى الْقُرْآنِ، وَلَا عَلَى الإِيمَانِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، بِخِلَافِ السَّلَفِ؛ فَلِهَذَا كَانَ السَّلَفُ أَكْمَلَ عِلْمًا وَإِيمَانًا، وَخَطَؤُهُمْ أَخَفَّ، وَصَوَابُهُمْ أَكْثَرَ كَمَا قَدَّمْنَاهُ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَكَانَ الْأَصْلُ الَّذِي أَسَّسُوهُ هُوَ مَا أَمَرَهُمْ الله بِهِ فِي قَوْلِهِ: ژ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ژ [الحجرات:1]، فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَا وَصَفَ بِهِ المَلَائِكَةَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ ژ [الأنبياء:٢٦-٢٩].

فَوَصَفَهُمْ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُمْ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ، وَأَنَّهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ، فَلَا يُخْبِرُونَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهِ وَلَا غَيْرِ صِفَاتِهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُخْبِرَ سُبْحَانَهُ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ؛ فَيَكُونُ خَبَرُهُمْ وَقَوْلُهُمْ تَبَعًا لِخَبَرِهِ وَقَوْلِهِ، كَمَا قَالَ: ژ ڤ ڤ ڦ ژ [الأنبياء:٢٧]، وَأَعْمَالُهُمْ تَابِعَةٌ لِأَمْرِهِ، فَلَا يَعْمَلُونَ إِلَّا مَا أَمَرَهُمْ هُوَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِ، فَهُمْ مُطِيعُونَ لِأَمْرِهِ سُبْحَانَهُ.

وَقَدْ وَصَفَ سُبْحَانَهُ بِذَلِكَ مَلَائِكَةَ النَّارِ، فَقَالَ: ژۈۈۇۇۆۆۈۈۋۋۅۅۉۉېېىى□ □ □ □ □ □ □ □ □ژ [التحريم:6]، وَقَدْ ظَنَّ بَعْضُهُمْ أَنَّ هَذَا تَوْكِيدٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَا يَعْصُونَهُ فِي المَاضِي، وَيَفْعَلُونَ مَا أُمِرُوا بِهِ فِي المُسْتَقْبَلِ.

وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا وَهَذَا أَنَّ العَاصِي هُوَ الْمُمْتَنِعُ مِنْ طَاعَةِ الْأَمْرِ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى الِامْتِثَالِ، فَلَوْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أُمِرَ بِهِ لِعَجْزِهِ لَمْ يَكُنْ عَاصِيًا، فَإِذَا قَالَ: ژـ□ □ □ □ □ژ [التحريم:٦]، لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا بَيَانُ أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ، فَإِنَّ الْعَاجِزَ لَيْسَ بِعَاصٍ وَلَا فَاعِلٍ لِمَا أُمِرَ بِهِ، وَقَالَ: ژ□ □ □ □ □ژ [التحريم:٦]، لِيُبَيِّنَ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى فِعْلِ مَا أُمِرُوا بِهِ، فَهُمْ لَا يَتْرُكُونَهُ لَا عَجْزًا وَلَا مَعْصِيَةً.

وَالمَأْمُورُ إِنَّمَا يَتْرُكُ مَا أُمِرَ بِهِ لِأَحَدِ هَذَيْنِ، إِمَّا أَلَّا يَكُونَ قَادِرًا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ عَاصِيًا لَا يُرِيدُ الطَّاعَةَ، فَإِذَا كَانَ مُطِيعًا يُرِيدُ طَاعَةَ الآمِرِ وَهُوَ قَادِرٌ، وَجَبَ وُجُودُ فِعْلِ مَا أُمِرَ بِهِ، فَكَذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ المَذْكُورُونَ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ.

....

....

....

....

....

....

....

....

....

وَقَدْ وَصَفَ المَلَائِكَةَ بِأَنَّهُمْ: ﮋﭨ ﭩ ﭪﭫﭬ ﭭﭮﭯ ﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊ ﮋ ﮌﮍ ﮎﮏﮐﮑﮒ ﮓﮔ ﮕ ﮊ [الأنبياء:٢٦-٢٩].

فَالَملَائِكَةُ مُصَدِّقُونَ بِخَبَرِ رَبِّهِمْ، مُطِيعُونَ لِأَمْرِهِ، وَلَا يُخْبِرُونَ حَتَي يُخْبِرَ، وَلَا يَعْمَلُونَ حَتَى يَأْمُرَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﮋ ﭬﭭ ﭮﭯﭰ ﮊ [الأنبياء:٢٧].

وَقَدْ أَمَرَ الله المُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونُوا مَعَ اللهِ وَرَسُولِهِ كَذَلِكَ، فَإِنَّ الْبَشَرَ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اللهِ مِنْهُ، بَلْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ رَسُولٌ مِنْ البَشَرِ، فَعَلَيْهِمْ أَلَّا يَقُولُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ مَا بَلَّغَهُمْ عَنْ اللهِ، وَلَا يَعْمَلُونَ إِلَّا بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﮋ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮊ [الحجرات:1].

قَالَ مُجَاهِدٌ: لَا تَفْتَاتُوا عَلَيْهِ بِشَيْءٍ حَتَى يَقْضِيهِ الله عَلَى لِسَانِهِ، ژگـژ مَعْنَاهُ: تَتَقَدَّمُوا، وَهُوَ فِعْلٌ لَازِمٌ، وَقَدْ قُرِئَ «**تَقَدَّمُوا**»، يُقَالُ: قَدَّمَ وَتَقَدَّمَ، كَمَا يُقَالُ: بَيَّنَ وَتَبَيَّنَ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ قَدَّمَ مُتَعَدِّيًا، أَيْ: قَدَّمَ غَيْرَهُ، لَكِنْ هُنَا هُوَ فِعْلٌ لَازِمٌ، فَلَا تُقَدِّمُوا مَعْنَاهُ: لَا تَتَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللهِ وَرَسُولِهِ.

فَعَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَلَّا يَتَكَلَّمَ فِي شَيْءٍ مِنْ الدِّينِ إِلَّا تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَلَا يَتَقَدَّمُ بَيْنَ يَدَيْهِ، بَلْ يَنْظُرُ مَا قَالَ، فَيَكُونُ قَوْلُهُ تَبَعًا لِقَوْلِهِ، وَعَمَلُهُ تَبَعًا لِأَمْرِهِ، فَهَكَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنْ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ؛ فَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يُعَارِضُ النُّصُوصَ بِمَعْقُولِهِ، وَلَا يُؤَسِّسُ دِينًا غَيْرَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَإِذَا أَرَادَ مَعْرِفَةَ شَيْءٍ مِنْ الدِّينِ وَالْكَلَامِ فِيهِ نَظَرَ فِيمَا قَالَهُ الله وَالرَّسُولُ، فَمِنْهُ يَتَعَلَّمُ وَبِهِ يَتَكَلَّمُ، وَفِيهِ يَنْظُرُ وَيَتَفَكَّرُ، وَبِهِ يَسْتَدِلُّ، فَهَذَا أَصْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ.

وَأَهْلُ الْبِدَعِ لَا يَجْعَلُونَ اعْتِمَادَهُمْ فِي البَاطِنِ وَنَفْسِ الْأَمْرِ عَلَى مَا تَلَقَوْهُ عَنْ الرَّسُولِ، بَلْ عَلَى مَا رَأَوْهُ أَوْ ذَاقُوهُ، ثُمَّ إِنَّ وَجَدُوا السُّنَّةَ تُوَافِقُهُ وَإِلَّا لَمْ يُبَالُوا بِذَلِكَ، فَإِذَا وَجَدُوهَا تُخَالِفُهُ أَعْرَضُوا عَنْهَا تَفْوِيضًا أَوْ حَرَّفُوهَا تَأْوِيلًا.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فَهَذَا هُوَ الفُرْقَانُ بَيْنَ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالسُّنَّةِ، وَأَهْلِ النِّفَاقِ وَالْبِدْعَةِ، وَإِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ لَهُمْ مِنْ الْإِيمَانِ نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنْ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ، لَكِنَّ فِيهِمْ مِنْ النِّفَاقِ وَالْبِدْعَةِ بِحَسْبِ مَا تَقَدَّمُوا فِيهِ بَيْنَ يَدَيْ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَخَالَفُوا اللهَ وَرَسُولَهُ.

ثُمَّ إِنْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ ذَلِكَ يُخَالِفُ الرَّسُولَ، وَلَوْ عَلِمُوا لمَا قَالُوهُ لَمْ يَكُونُوا مُنَافِقِينَ، بَلْ نَاقِصِي الْإِيمَانِ مُبْتَدِعِينَ، وَخَطَؤُهُمْ مَغْفُورٌ لَهُمْ لَا يُعَاقَبُونَ عَلَيْهِ وَإِنْ نَقَصُوا بِهِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فَصْــلٌ

وَكُلُّ مَنْ خَالَفَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ بِذَلِكَ وَلَا عَدْلٌ، بَلْ لَا يَكُونُ عِنْدَهُ إِلَّا جَهْلٌ وَظُلْمٌ وَظَنٌّ ژ□□□□□□□□□□□ژ [النجم:23]، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ فَهُوَ حَقٌّ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُتَصَوَّرَ أَنْ يَكُونَ الحَقُّ فِي نَقِيضِهِ.

وَحِينَئِذٍ فَمَنْ اعْتَقَدَ نَقِيضَهُ كَانَ اعْتِقَادُهُ بَاطِلًا، وَالِاعْتِقَادُ الْبَاطِلُ لَا يَكُونُ عِلْمًا، وَمَا أَمَرَ بِهِ الرَّسُولُ فَهُوَ عَدْلٌ لَا ظُلْمَ فِيهِ، فَمَنْ نَهَى عَنْهُ فَقَدْ نَهَى عَنْ الْعَدْلِ، وَمَنْ أَمَرَ بِضِدِّهِ فَقَدْ أَمَرَ بِالظُّلْمِ؛ فَإِنَّ ضِدَّ الْعَدْلِ الظُّلْمُ، فَلَا يَكُونُ مَا يُخَالِفُهُ إِلَّا جَهْلًا وَظُلْمًا ظَنًّا وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ.

وَهُوَ لَا يَخْرُجُ عَنْ قِسْمَيْنِ:

أَحْسَنُهُمَا: أَنْ يَكُونَ كَانَ شَرْعًا لِبَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ نُسِخَ.

وَأَدْنَاهُمَا: أَنْ يَكُونَ مَا شُرِعَ قَطُّ، بَلْ يَكُونُ مِنْ المُبَدَّلِ، فَكُلُّ مَا خَالَفَ حُكْمُ اللهِ وَرَسُولِهِ، فَإِمَّا شَرْعٌ مَنْسُوخٌ وَإِمَّا شَرْعٌ مُبَدَّلٌ مَا شَرَعَهُ اللهُ، بَلْ شَرَعَهُ شَارِعٌ بِغَيْرِ إِذْنٍ مِنْ اللهِ، كَمَا قَالَ: ژ ﮬ ے ے ۓ ۓ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ژ [الشورى:21].

لَكِنَّ هَذَا وَهَذَا قَدْ يَقَعَانِ فِي خَفِيِّ الأُمُورِ وَدَقِيقِهَا بِاجْتِهَادٍ مِنْ أَصْحَابِهَا اسْتَفْرَغُوا فِيهِ وُسْعَهُمْ فِي طَلَبِ الحَقِّ، وَيَكُونُ لَهُمْ مِنْ الصَّوَابِ وَالاِتِّبَاعِ مَا يَغْمُرُ ذَلِكَ، كَمَا وَقَعَ مِثْلُ ذَلِكَ مِنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ فِي مَسَائِلِ الطَّلَاقِ وَالْفَرَائِضِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ مِثْلُ هَذَا فِي جَلِيِّ الْأُمُورِ وَجَلِيلِهَا؛ لِأَنَّ بَيَانَ هَذَا مِنْ الرَّسُولِ كَانَ ظَاهِرًا بَيْنَهُمْ فَلَا يُخَالِفُهُ إِلَّا مَنْ يُخَالِفُ الرَّسُولَ، وَهُمْ مُعْتَصِمُونَ بِحَبْلِ اللهِ يُحَكِّمُونَ الرَّسُولَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، لَا يَتَقَدَّمُونَ بَيْنَ يَدَيْ اللهِ وَرَسُولِهِ، فَضْلًا عَنْ تَعَمُّدِ مُخَالَفَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ.

فَلَمَّا طَالَ الزَّمَانُ،خَفِيَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ النَّاسِ مَا كَانَ ظَاهِرًا لَهُمْ، وَدَقَّ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ النَّاسِ مَا كَانَ جَلِيًا لَهُمْ، فَكَثُرَ مِنْ المُتَأَخِّرِينَ مُخَالَفَةُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَا لَمْ يَكُنْ مِثْلُ هَذَا فِي السَّلَفِ، وَإِنْ كَانُوا مَعَ هَذَا مُجْتَهِدِينَ مَعْذُورِينَ، يَغْفِرُ الله لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَيُثِيبُهُمْ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ.

وَقَدْ يَكُونُ لَهُمْ مِنَ الحَسَنَاتِ مَا يَكُونُ لِلْعَامِلِ مِنْهُمْ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُهَا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ؛ لِأَنَّهمْ كَانُوا يَجِدُونَ مَنْ يُعِينُهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَهَؤُلَاءِ المُتَأَخِّرُونَ لَمْ يَجِدُوا مَنْ يُعِينُهُمْ عَلَى ذَلِكَ، لَكِنْ تَضْعِيفُ الأَجْرِ لَهُمْ فِي أُمُورٍ لَمْ يُضَعَّفْ لِلصَّحَابَةِ لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونُوا أَفْضَلَ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلَا يَكُونُ فَاضِلُهُمْ كَفَاضِلِ الصَّحَابَةِ.

فَإِنَّ الَّذِي سَبَقَ إِلَيْهِ الصَّحَابَةُ مِنَ الإِيمَانِ وَالجِهَادِ، وَمُعَادَاةِ أَهْلِ الأَرْضِ فِي مُوَالَاةِ الرَّسُولِ وَتَصْدِيقِهِ، وَطَاعَتِهِ فِيمَا يُخْبِرُ بِهِ وَيُوجِبُهُ قَبْلَ أَنْ تَنْتَشِرَ دَعْوَتُهُ، وَتَظْهَرَ كَلِمَتَهُ، وَتَكْثُرَ أَعْوَانُهُ وَأَنْصَارُهُ، وَتَنْتَشِرَ دَلَائِلُ نُبُوَّتِهِ، بَلْ مَعَ قِلَّةِ المُؤْمِنِينَ وَكَثْرَةِ الكَافِرِينَ وَالمُنَافِقِينَ، وَإِنْفَاقِ المُؤْمِنِينَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ الله ابْتِغَاءَ وَجْهِهِ فِي مِثْلِ تِلْكَ الحَالِ أَمْرٌ مَا بَقِيَ يَحْصُلُ مِثْلُهُ لِأَحَدٍ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**».

وَقَدِ اسْتَفَاضَتِ النُّصُوصُ الصَّحِيحَةُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ ﷺ: «خَيْرُ القُرُونِ قَرْنِي الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ». فَجُمْلَةُ القَرْنِ الأَوَّلِ أَفْضَلُ مِنَ القَرْنِ الثَّانِي، وَالثَّانِي أَفْضَلُ مِنَ الثَّالِثِ، وَالثَّالِثُ أَفْضَلُ مِنَ الرَّابِعِ، لَكِنْ قَدْ يَكُونُ فِي الرَّابِعِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضِ الثَّالِثِ، وَكَذَلِكَ فِي الثَّالِثِ مَعَ الثَّانِي، وَهَلْ يَكُونُ فِيمَنْ بَعْدَ الصَّحَابَةِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ المَفْضُولِينَ لَا الفَاضِلِينَ؟ هَذَا فِيهِ نِزَاعٌ، وَفِيهِ قَوْلَانِ، حَكَاهُمَا القَاضِي عِيَاضٌ وَغَيْرُهُ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَفْرِضُهَا فِي مِثْلِ مُعَاوِيَةَ وَعُمَرَ بنِ عَبْدِالعَزِيزِ، فَإِنَّ مُعَاوِيَةَ لَهُ مَزِيَّةُ الصُّحْبَةِ وَالجِهَادِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَعُمَرَ لَهُ مَزِيَّةُ فَضِيلَتِهِ مِنَ العَدْلِ وَالزُّهْدِ، وَالخَوْفِ مِنَ الله تَعَالَى، وَبَسْطُ هَذَا لَهُ مَوْضِعٌ آخَر.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَالـمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ مَنْ خَالَفَ الرَّسُولَ فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَّبِعَ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الـمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللَّاتَ وَالعُزَّى: ﮋﯗﯘﯙ ﯚﯛﯜﯝﯞ□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ﮊ [النجم:23].

وَقَالَ فِي الَّذِينَ يُخْبِرُونَ عَنِ الـمَلَائِكَةِ أَنَّهُمْ إِنَاثٌ: ﮋﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝ ﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊ ﮋﮊ [النجم:27- 30]، وَهُمْ جَعَلُوهُمْ إِنَاثًا كَمَا قَالَ: ﮋﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖﮊ [الزخرف:19]، وَفِي القِرَاءَةِ الأُخْرَى: «عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ»،وَهَؤُلَاءِ قَالَ عَنْهُمْ: ﮋ□ □ □ □ﮊ [النجم:٢٣]، لِأَنَّهُ خَبَرٌ مَحْضٌ لَيْسَ فِيهِ عَمَلٌ، وَهُنَاكَ: ﮋ□ □ □ □ﮊ [النجم:٢٣]، لَأَنَّهُم كَانُوا يَعْبُدُونَهَا وَيَدْعُونَهَا، فَهُنَاكَ عِبَادَةٌ وَعَمَلٌ بِهَوى أَنْفُسِهِمْ، فَقَالَ: ﮋ□ □ □ □ □ □ □ □ﮊ [النجم:٢٣].

....

....

....

....

....

....

....

....

....

وَالَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ كَمَا قَالَ: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﮊ [النجم:1-5].

وَكُلُّ مَنْ خَالَفَ الرَّسُولَ لَا يَخْرُجُ عَنِ الظَّنِّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ؛ فَإِنْ كَانَ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ مَا قَالَهُ، وَلَهُ فِيهِ حُجَّةٌ يَسْتَدِلُّ بِهَا، كَانَ غَايَتُهُ الظَّنَّ الَّذِي لَا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئًا،كَاحْتِجَاجِهِمْ بِقِيَاسٍ فَاسِدٍ، أَوْ نَقْلٍ كَاذِبٍ، أَوْ خِطَابٍ أُلْقِيَ إِلَيْهِمْ اعْتَقَدُوا أَنَّهُ مِنَ الله وَكَانَ مِنْ إِلْقَاءِ الشَّيْطَانِ.

وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ هِيَ عُمْدَةُ مَنْ يُخَالِفُ السُّنَّةَ بِمَا يَرَاهُ حُجَّةً وَدَلِيلًا، إِمَّا أَنْ يَحْتَجَّ بِأَدِلَّةٍ عَقْلِيَةٍ وَيَظُنُّهَا بُرْهَانًا وَأَدِلَّةً قَطْعِيَّةً، وَتَكُونُ شُبُهَاتٍ فَاسِدَةً مُرَكَّبَةً مِنْ أَلْفَاظٍ مُجْمَلَةٍ، وَمَعَانٍ مُتَشَابِهَةٍ، لَمْ يُمَيَّزْ بَيْنَ حَقِّهَا وَبَاطِلِهَا، كَمَا يُوجَدُ مِثْلُ ذَلِكَ فِي جَمِيعِ مَا يَحْتَجُّ بِهِ مَنْ خَالَفَ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، إِنَّمَا يُرَكِّبُ حُجَجَهُ مِنْ أَلْفَاظٍ مُتَشَابِهَةٍ، فَإِذَا وَقَعَ الاسْتِفْسَارُ وَالتَّفْصِيلُ تَبَيَّنَ الحَقُّ مِنَ البَاطِلِ، وَهَذِهِ هِيَ الحُجَجُ العَقْلِيَّةُ.

....
....
....
....
....
....
....
....
....

وَإِنْ تَمَسَّكَ الـمُبْطِلُ بَحُجَجٍ سَمْعِيَّةٍ فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ كَذِبًا عَلَى الرَّسُولِ، أَوْ تَكُونَ غَيْرَ دَالَّةٍ عَلَى مَا احْتَجَّ بِهَا أَهْلُ البُطُولِ، فَالـمَنْعُ إِمَّا فِي الإَسْنَادِ وَإِمَّا فِي الـمَتْنِ وَدَلَالَتِهِ عَلَى مَا ذُكِرَ، وَهَذِهِ الحُجَّةُ السَّمْعِيَّةُ هَذِهِ حُجَّةُ أَهْلِ العِلْمِ الظَّاهِرِ.

وَأَمَّا حُجَّةُ أَهْلِ الذَّوْقِ وَالوَجْدِ وَالـمُكَاشَفَةِ وَالـمُخَاطَبَةِ، فَإِنَّ أَهْلَ الحَقِّ مِنْ هَؤُلَاءِ لَهُم إِلْهَامَاتٌ صَحِيحَةٌ مُطَابِقَةٌ، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**قَدْ كَانَ فِي الأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَعُمَرُ**»، وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ: اقْتَرِبُوا مِنْ أَفْوَاهِ الـمُطِيعِينَ وَاسْمَعُوا مِنْهُمْ مَا يَقُولُونَ، فَإِنَّها تُجْلَى لَهُم أُمُورٌ صَادِقَةٌ.

وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**اتَّقُوا فِرَاسَةَ الـمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ الله**»، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ: ژﭑﭒﭓﭔﭕﭖژ [الحجر:75]، وَقَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ: أَظُنُّهُ وَالله لَلْحَقُّ يَقْذِفُهُ الله عَلَى قُلُوبِهِمْ وَأَسْمَاعِهِمْ، وَفِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا**».

.....

وَفِي رِوَايَةٍ: «**فَبِي يَسْمَعُ، وَبِي يُبْصِرُ، وَبِي يَبْطِشُ، وَبِي يَمْشِي**»، فَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ يَسْمَعُ بِالحَقِّ وَيُبْصِرُ بِهِ.

وكَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ السَّكِينَةَ تَنْطِقُ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُ وَقَالَ ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ القَضَاءَ وَاسْتَعَانَ عَلَيْهِ وُكِلَ إِلَيْهِ، وَمَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَيْهِ أَنْزَلَ الله عَلَيْهِ مَلَكًا يُسَدِّدُهُ**»، وَقَالَ الله تَعَالَى: ژ□□□□ژ [النور:35]، نُورُ الإِيمَانِ مَعَ نُورِ القُرْآنِ، وَقَالَ تَعَالَى: ژڲڳ ڳڳڳڱڱںڻژ [هود:17]، وَهُوَ الـمُؤْمِنُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ، وَيَتْبَعُهُ شَاهِدٌ مِنَ الله، وَهُوَ القُرْآنُ، شَهِدَ الله فِي القُرْآنِ بِمِثْلِ مَا عَلَيْهِ الـمُؤْمِنُ مِنْ بَيِّنَةِ الإِيمَانِ.

وَهَذَا القَدْرُ مِمَّا أَقَرَّ بِهِ حُذَّاقُ النُّظَّارِ لَـمَّا تَكَلَّمُوا فِي وُجُوبِ النَّظَرِ وَتَحْصِيلِهِ لَلْعِلْمِ، فَقِيلَ لَهُم: أَهْلُ التَّصْفِيَةِ وَالرِّيَاضَةِ وَالعِبَادَةِ والتَّأَلُّهِ تَحْصُلُ لَهُمْ الـمَعَارِفُ وَالعُلُومُ اليَقِينِيَّةُ بِدُونِ النَّظَرِ، كَمَا قَالَ الشَّيْخُ الـمُلَقَّبُ بِالكَبِيرِيِّ لِلرَّازِيِّ وَرَفِيقِهِ، وَقَدْ قَالَا لَـه: يَا شَيْخُ، بَلَغَنَا أَنَّكَ تَعْلَمُ عِلْمَ اليَقِينِ. فَقَالَ: نَعَمْ! فَقَالَا: كَيْفَ تَعْلَمُ وَنَحْنُ نَتَنَاظَرُ فِي زَمَانٍ طَوِيلٍ كُلَّمَا ذَكَرَ شَيْئًا أَفْسَدْتَهُ، وَكُلَّمَا ذَكَرْتَ شَيْئًا أَفْسَدَهُ؟.

....

....

....

....

....

....

....

....

....

فَقَالَ: هُوَ وَارِدَاتٌ تَرِدُ عَلَى النُّفُوسِ تَعْجَزُ النُّفُوسُ عَنْ رَدِّهَا، فَجَعَلَا يَعْجَبَانِ مِنْ ذَلِكَ وَيُكَرِّرَانِ الكَلَامَ، وَطَلَبَ أَحَدُهُمَا أَنْ تَحْصُلَ لَهُ هَذِهِ الوَارِدَاتُ فَعَلَّمَهُ الشَّيْخُ وَأَدَّبَهُ حَتَّى حَصلَتْ لَهُ، وَكَانَ مِنَ الـمُعْتَزِلَةِ النُّفَاةِ.

فَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ الحَقَّ مَعَ أَهْلِ الإِثْبَاتِ، وَأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ، وَعَلِمَ ذَلِكَ بِالضَّرُورَةِ، رَأَيْتُ هَذِهِ الحِكَايَةَ بِخَطِّ القَاضِي نَجْمِ الدِّينِ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدً بنِ خَلَفٍ الـمَقْدِسِيِّ، وَذَكَرَ أَنَّ الشَّيْخَ الكَبِيرِيَّ حَكَاهَا لَهُ، وَكَانَ قَدْ حَدَّثَنِي بِهَا عَنْهُ غَيْرُ وَاحِدٍ حَتَّى رَأَيْتُهَا بِخَطِّهِ.

وَكَلَامُ الـمَشَايِخِ فِي مِثْلِ هَذَا كَثِيْر، وَهَذَا الوَصْفُ الَّذِي ذَكَرَهُ الشَّيْخُ جَوَابٌ لَهُمْ بِحَسْبِ مَا يَعْرِفُونَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ قَسَّمُوا العِلْمَ إِلَى ضَرُورِيٍّ وَنَظَرِيٍّ، وَالنَّظَرِيُّ مُسْتَنِدٌ إِلَى الضَّرُورِيِّ، وَالضَّرُورِيُّ هُوَ العِلْمُ الَّذِي يَلْزَمُ نَفْسَ الـمَخْلُوقِ لُزُومًا لَا يُمْكِنُهُ مَعَهُ الانْفِكَاكُ عَنْهُ، هَذَا حَدُّ القَاضِي أَبِي بَكْرٍ بنِ الطَّيِّبِ وَغَيْرِهِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فَخَاصَّتُهُ أَنَّهُ يَلْزَمُ النَّفْسَ لُزُومًا لَا يُمْكِنُ مَعَ ذَلِكَ دَفْعُهُ، فَقَالَ لَهُمْ: عِلْمُ اليَقِينِ عِنْدنَا هُوَ مِنْ هَذَا الجِنْسِ، وَهُوَ عِلْمٌ يَلْزَمُ النَّفْسَ لُزُومًا لَا يُمْكِنُهُ مَعَ ذَلِكَ الانْفِكَاكُ عَنْهُ، وَقَالَ: وَارِدَاتٌ؛ لِأَنَّهُ يَحْصُلُ مَعَ العِلْمِ طُمَأْنِينَةٌ وَسَكِينَةٌ تُوجِبُ العَمَلَ بِهِ، فَالوَارِدَاتُ تَحْصُلُ بِهَذَا وَهَذَا، وَهَذَا قَدْ أَقَرَّ بِهِ كَثِيرٌ مِنْ حُذَّاقِ النُّظَّارِ، مُتَقَدِّمِيهِمْ كالكيا الهَرَّاسِيّ وَالغَزَالِيّ وَغَيْرِهِمَا ـ وَمُتَأَخِّرِيهِمْ كَالرَّازِيّ وَالآمِدِيَّ ـ وَقَالُوا: نَحْنُ لَا نُنْكِرُ أَنْ يَحْصُلَ لِنَاسٍ عِلْمٌ ضَرُورِيٌّ بِمَا يَحْصُلُ لَنَا بِالنَّظَرِ، هَذَا لَا نَدْفَعُهُ، لَكِنْ إِنْ لَمْ يَكُنْ عِلْمًا ضَرُورِيًّا فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ دَلِيلٍ، وَالدَّلِيلُ يَكُونُ مُسْتَلْزِمًا لِلْمَدْلُولِ عَلَيْهِ، بِحَيْثُ يَلْزَمُ مِنِ انْتِفَاءِ الدَّلِيلِ انْتِفَاءُ المَدْلُولِ عَلَيْهِ. قَالُوا: فَإِنْ كَانَ لَوْ دَفَعَ ذَلِكَ الاعْتِقَادَ الَّذِي حَصَلَ لَهُ لَزِمَ دَفْعُ شَيْءٍ مِمَّا يُعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ، فَهَذَا هُوَ الدَّلِيلُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَهَذَا هَوَسٌ لَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ، وَبَسْطُ هَذَا لَهُ مَوْضِعٌ آخَرُ.

وَالمَقْصُودُ: أَنَّ هَذَا الجِنْسَ وَاقِعٌ، لَكِنْ يَقَعُ أَيْضًا مَا يُظَنُّ أَنَّهُ مِنْهُ كَثِيرٌ. أَوْ لَا يُمَيِّزُ كَثِيرٌ مَنْهُمْ الحَقَّ مِنَ البَاطِلِ، كَمَا يَقَعُ فِي الأَدِلَّةِ العَقْلِيَّةِ وَالسَّمْعِيَّةِ. فَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَسْمَعُ خِطَابًا أَوْ يَرَى مَنْ يَأْمُرُهُ بِقَضِيَّةٍ وَيَكُونُ ذَلِكَ الخِطَابُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ الَّذِي يُخَاطِبُهُ الشَّيْطَانُ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ الله مِنْ رِجَالِ الغَيْبِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَرِجَالُ الغَيْبِ هُمُ الجِنُّ، وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ إِنْسِيٌّ، وَقَدْ يَقُولُ لَهُ: أَنَا الخَضِرُ، أَوْ إِلْيَاسُ. بَلْ أَنَا مُحَمَّدٌ، أَوْ إِبْرَاهِيمُ الخَلِيلُ أَوِ الـمَسِيحُ، أَوْ أَبُو بَكْرٍ، أَوْ عُمَرُ، أَوْ أَنَا الشَّيْخُ فُلَانٌ، أَوِ الشَّيْخُ فُلَانٌ مِمَّنْ يُحْسِنُ بِهِمُ الظَّنَّ وَقَدْ يَطِيرُ بِهِ فِي الهَوَاءِ، أَوْ يَأْتِيهِ بِطَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ أَوْ نَفَقَةٍ، فَيَظُنُّ هَذَا كَرَامَةً، بَلْ آيَةً وَمُعْجِزَةً تَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا مِنْ رِجَالِ الغَيْبِ أَوْ مِنَ الـمَلَائِكَةِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ شَيْطَانًا لَبَّسَ عَلَيْهِ، فَهَذَا وَمِثْلُهُ وَاقِعٌ كَثِيرًا، أَعْرِفُ مِنْهُ وَقَائِعَ كَثِيرَةً، كَمَا أَعْرِفُ مِنَ الغَلَطِ فِي السَّمْعِيَّاتِ وَالعَقْلِيَّاتِ.

فَهَؤُلَاءِ يَتَبِعُونَ ظَنًّا لَا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئًا، وَلَوْ لَمْ يَتَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ، بَلِ اعْتَصَمُوا بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ هَذَا مِنَ الشَّيْطَانِ، وَكَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ يَتَّبِعُ ذَوْقَهُ وَوَجْدَهُ وَمَا يَجِدُهُ مَحْبُوبًا إِلَيْهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا بَصِيرَةٍ، فَيُكُونُ مُتَّبِعًا لِهَوَاهُ بِلَا ظَنٍّ، وَخِيَارُهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ.

وَهَؤُلَاءِ إِذَا طُلِبَ مِنْ أَحَدِهِمْ حُجَّةٌ ذَكَرَ تَقْلِيدَهُ لِمَنْ يُحِبُّهُ مِنْ آبَائِهِ وَأَسْلَافِهِ، كَقَوْلِ الـمُشْرِكِينَ: ژ يـٺـٺنٺـٺٺٿـٹژ [الزخرف:23]، وَإِنْ عَكَسُوا احْتَجُّوا بِالقَدَرِ، وَهُوَ أَنَّ اللهَ أَرَادَ هَذَا وَسَلَّطَنَا عَلَيْهِ، فَهُمْ يَعْمَلُونَ بِهَوَاهُمْ وَإِرَادَةِ نُفُوسِهِمْ بِحَسْبِ قُدْرَتِهِمْ كَالْمُلُوكِ الـمُسَلَّطِينَ.

وَكَانَ الوَاجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِمَا أَمَرَ الله، فَيَتَّبِعُونَ أَمَرَ الله وَمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، لَا يَتَّبِعُونَ إِرَادَتَهُمْ وَمَا يُحِبُّونَهَ هُمْ وَيَرْضَوْنَهُ، وَأَنْ يَسْتَعِينُوا بِالله، فَيَقُولُونَ: ﮋﭢﭣﭤﭥﭦﮊ [الفاتحة:5]، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله، لَا يَعْتَمِدُونَ عَلَى مَا أُوتُوهُ مِنَ القُوَّةِ وَالتَّصَرُّفِ وَالحَالِ؛ فَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَدِّ.

وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ عَقِبَ الصَّلَاةِ وَفِي الاعْتِدَالِ بَعْدَ الرُّكُوعِ: «**اللهمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ**».

فَالذَّوْقُ وَالوَجْدُ هُوَ يَرْجِعُ إِلَى حُبِّ الإِنْسَانِ وَوَجْدِهِ بِحَلَاوَتِهِ وَذَوْقِهِ وَطَعْمِهِ، وكَلُّ صَاحِبِ مَحَبَّةٍ فَلَهُ فِي مَحْبُوبِهِ ذَوْقٌ وَوَجْدٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِسُلْطَانٍ مِنَ الله ـ وَهُوَ مَا أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ ـ كَانَ صَاحِبُهُ مُتَّبِعًا لِهَواهُ بِغَيْرِ هُدَىً، وَقَدْ قَالَ الله تَعَالَى: ﮋ   ﮊ [القصص:50]، وقال تعالى: ﮋﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥ ﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﮊ [الأنعام:119].

....

....

....

....

....

....

....

....

....

وكَذَلِكَ مَنِ اتَّبَعَ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنَ الخِطَابِ أَوْ مَا يَرَاهُ مَنِ الأَنْوَارِ وَالأَشْخَاصِ الغَيْبِيَّةِ، وَلَا يَعْتَبِرُ ذَلِكَ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنَّمَا يَتَّبِعُ ظنًّا لَا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئًا.

فَلَيْسَ فِي المُحَدَّثِينَ المُلْهَمِينَ أَفْضَلُ مِنْ عُمَرَ، كَمَا قَالَ ﷺ: «**إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِي الأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُون، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعُمَرُ مِنْهُمْ**»، وَقَدْ وَافَقَ عُمَرُ رَبَّهُ فِي عِدَّةِ أَشْيَاءَ، وَمَعَ هَذَا فَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَصِمَ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَلَا يَقْبَلَ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْرِضَهُ عَلَى الرَّسُولِ، وَلَا يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيِ الله وَرَسُولِهِ، بَلْ يَجْعَلَ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ إِذَا تَبَيَّنَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ أَشْيَاءُ خِلَافُ مَا وَقَعَ لَهُ فَيَرْجِعَ إِلَى السُّنَّةِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُبَيِّنُ لَهُ أَشْيَاءَ خَفِيَتْ عَلَيْهِ، فَيَرْجِعَ إِلَى بَيَانِ الصِّدِّيقِ وَإِرْشَادِهِ وَتَعْلِيمِهِ، كَمَا جَرَى يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ، وَيَوْمَ مَاتَ الرَّسُولُ، وَيَوْم نَاظَرَهُ فِي مَانِعِي الزَّكَاةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَكَانَتْ المَرْأَةُ تَرُدُّ عَلَيْهِ مَا يَقُولُهُ وَتَذْكُرُ الحُجَّةَ مِنَ القُرْآنِ، فَيَرْجِعُ إِلَيْهَا؛ كَمَا جَرَى فِي مُهُورِ النِّسَاءِ، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ.

فَكُلُّ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الإِلْهَامِ وَالخِطَابِ وَالمُكَاشَفَةِ لَمْ يَكُنْ أَفْضَلَ مِنْ عُمَرَ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَسْلُكَ سَبِيلَهُ فِي الاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، لَا يَجْعَلُ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ تَبَعًا لِمَا وَرَدَ عَلَيْهِ، وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَخْطَؤُوا وَضَلُّوا وَتَرَكُوا ذَلِكَ وَاسْتَغْنَوْا بِمَا وَرَدَ عَلَيْهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ يُغْنِيهِمْ عَنِ اتِّبَاعِ العِلْمِ المَنْقُولِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَصَارَ أَحَدُهُمْ يَقُولُ: أَخَذُوا عِلْمَهُمْ مَيِّتًا عَنْ مَيِّتٍ، وَأَخَذْنَا عِلْمَنَا عَنِ الحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، فَيُقَالُ لَهُ: أَمَّا مَا نَقَلَهُ الثِّقَاتُ عَنِ الـمَعْصُومِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَوْلَا النَّقْلُ الـمَعْصُومُ لَكُنْتَ أَنْتَ وَأَمْثَالُكَ إِمَّا مِنَ الـمُشْرِكِينَ، وَإِمَّا مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَأَمَّا مَا وَرَدَ عَلَيْكَ فَمِنْ أَيْنَ لَكَ أَنَّهُ وَحْيٌ مِنَ اللهِ؟ وَمِنْ أَيْنَ لَكَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ؟

وَالوَحْيُ وَحْيَانِ: وَحْيٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، ووَحْيٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، قَالَ تَعَالَى: ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ژ [الأنعام:121]، وَقَالَ تَعَالَى: ژ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڍ ژ [الأنعام:112]، وَقَالَ تَعَالَى: ژ ۀ ہ ہ ۂ ۂ ھ ھ ژ [الشعراء:221]، وَقَدْ كَانَ الـمُخْتَارُ بنُ أَبِي عُبَيْدٍ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ، حَتَّى قِيلَ لابْنِ عُمَرَ وابْنِ عَبَّاسٍ، قِيلَ لِأَحَدِهِمَا: إِنَّهُ يَقُولُ: إِنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَقَالَ: ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ژ [الأنعام:121]، وَقِيلَ لِلْآخَرِ: إِنَّهُ يَقُولُ: إِنَّهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ: ژ ۀ ہ ہ ۂ ۂ ھ ھ ژ [الشعراء:221].

....

....

....

....

....

....

....

....

....

فَهَؤُلَاءِ يَحْتَاجُونَ إِلَى الْفُرْقَانِ الإيمَانِي القُرْآنِي النَّبَوِيّ الشَّرْعِيّ أَعْظَمَ مِنْ حَاجَةِ غَيْرِهِمْ، وَهَؤُلَاءِ لَهُمْ حِسِّيَّاتٌ يَرَوْنَهَا وَيَسْمَعُونَهَا، وَالحِسِّيَّاتُ يُضْطَّرُ إِلَيْهَا الإِنْسَانُ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ، كَمَا قَدْ يَرَى الإِنْسَانُ أَشْيَاءَ وَيَسْمَعُ أَشْيَاءَ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ، كَمَا أَنّ النُّظَّارَ لَهُمْ قِيَاسٌ وَمَعْقُولٌ، وَأَهَلَ السَّمْعِ لَهُمْ أَخْبَارٌ مَنْقولَاتٌ، وَهَذِهِ الأَنْوَاعُ الثَّلَاثَةُ هِيَ طُرُقُ العِلْمِ: الحِسُّ وَالخَبَرُ وَالنَّظَرُ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ يَسْتَدِلُّ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ فِي بَعْضِ الأُمُورِ، لَكِنْ يَكُونُ بَعْضُ الأَنْوَاعِ أَغْلَبَ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ فِي الدِّينِ وَغيْرِ الدِّينِ، كَالطِّبِ فَإِنَّهُ تَجْرُبَاتٌ وَقِيَاسَاتٌ، وَأَهْلُهُ مِنْهُمْ مَنْ تَغْلُبُ عَلَيْهِ التَّجْربَةُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَغْلُبُ عَلَيْهِ القِيَاسُ.

وَالقِيَاسُ أَصْلُهُ التَّجْرِبَةُ، وَالتَّجْرِبَةُ لَا بُدَّ فِيهَا مِنَ قِيَاسٍ، لَكِنْ مِثْلُ قِيَاسُ العَادِيَّاتِ لَا تُعْرَفُ فِيهِ العِلَّةُ وَالمُنَاسَبَةُ، وَصَاحِبُ القِيَاسِ مَنْ يَسْتَخْرِجُ العِلَّةَ المُنَاسِبَةَ وَيُعَلِّقُ الحُكْمَ بِهَا، وَالعَقْلُ خَاصَّةُ القِيَاسِ وَالاعْتِبَارِ وَالقَضَايَا الكُلِّيَّةِ، فَلَا بُدَّ لَهُ مِنَ الحِسِّيَّاتِ التِّي هِيَ الأَصْلُ لِيَعْتَبِرَ بِهَا، وَالحِسُّ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَ صَاحِبِهِ عَقْلٌ وَإِلَّا فَقَدْ يَغْلَطُ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَالنَّاسُ يَقُولُونَ: غَلِطَ الحِسُّ. وَالغَلَطُ تَارَةً مِنَ الحِسِّ، وَتَارَةً مِنْ صَاحِبِهِ؛ فَإِنَّ الحِسَّ يَرَى أَمْرًا مُعَيَّنًا، فَيَظُنُّ صَاحِبُهُ فِيهِ شَيْئًا آخَرَ فَيُؤْتَى مِنْ ظَنِّهِ، فَلَابُدَّ لَهُ مِنَ العَقْلِ.

وَلِهَذَا؛ النَّائِمُ يَرَى شَيْئًا وَتِلْكَ الأُمُورُ لَهَا وُجُودٌ وَتَحْقِيقٌ، وَلَكِنْ هِيَ خَيَالَاتٌ وَأَمْثِلَةٌ، فَلَمَّا عَزَبَ[1] ظَنَّهَا الرَّائِي نَفْسَ الحَقَائِقِ كَالَّذِي يَرَى نَفْسَهُ فِي مَكَانٍ آخَرَ يُكَلِّمُ أَمْوَاتًا وَيُكَلِّمُونَهُ، وَيَفْعَلُ أُمُورًا كَثِيرَة وَهُوَ فِي النَّوْمِ، يَجْزِمُ بِأَنَّهُ نَفْسُهُ الَّذِي يَقُولُ وَيَفْعَلُ؛ لِأَنَّ عَقْلَهُ عَزَبَ عَنْهُ، وَتِلْكَ الصُّورَةُ الَّتِي رَآهَا مِثَالُ صُورَتِهِ وَخَيَالُهَا؛ لَكِنْ غَابَ عَقْلُهُ عَنْ نَفْسِهِ، حَتَّى ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ المِثَالَ هُوَ نَفْسُهُ، فَلَمَّا ثَابَ إِلَيْهِ عَقْلُهُ عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ خَيَالَاتٌ وَمِثَالَاتٌ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَغِيبُ عَقْلُهُ بَلْ يَعْلَمُ فِي المَنَامِ أَنَّ ذَلِكَ فِي المَنَامِ، وَهَذا كَالَّذِي يَرَى صُورَتَهُ فِي المِرْآةِ أَوْ صُورَةَ غَيْرِهِ، فَإِذَا كَانَ ضَعِيفَ العَقْلِ ظَنَّ أَنَّ تِلْكَ الصُّورَةَ هِيَ الشَّخْصُ، حَتَّى إِنَّه يَفْعَلُ بِهِ مَا يَفْعَلُ بِالشَّخْصِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

---

(1) أَيْ: غَابَ وَخَفِيَ. انْظُرْ: المِصْبَاحُ المُنِيرُ، مَادَّةَ: عزب.

وَهَذَا يَقَعُ لِلصِّبْيَانِ وَالبُلْهِ، كَمَا يُخَيَّلُ لِأَحَدِهِمْ فِي الضُّوءِ شَخْصٌ يَتَحَرَّكُ وَيَصْعدُ وَيَنْزِل، فَيَظُنُّونَهُ شَخْصًا حَقِيقَةً، وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ خَيَالٌ، فَالحِسُّ إِذَا أَحَسَّ حِسًّا صَحِيحًا لَمْ يَغْلَطْ، لَكِنْ مَعَهُ عَقْلٌ لَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ هَذَا العَيْنِ وَالـمِثَالِ؛ فَإِنَّ العَقْلَ قَدْ عَقِلَ قَبْلَ ذَا أَنَّ مِثْلَ هَذَا يَكُونُ مِثَالًا، وَقَدْ عَقِلَ لَوَازِمَ الشَّخْصِ بِعَيْنِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَكُونُ فِي الهَوَاءِ وَلَا فِي الـمِرْآةِ، وَلَا يَكُونُ بَدَنُهُ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ، وَأَنَّ الجِسْمَ الوَاحِدَ لَا يَكُونُ فِي مَكَانَيْنِ.

وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَهُمْ مُكَاشَفَاتٌ وَمُخَاطَبَاتٌ يَرَوْنَ وَيَسْمَعُونَ مَا لَهُ وُجُودٌ فِي الخَارِجِ، وَمَا لَا يَكُونُ مَوْجُودًا إِلَّا فِي أَنْفُسِهِمْ كَحَالِ النَّائِمِ، وَهَذَا يَعْرِفُهُ كُلُّ أَحَدٍ، وَلَكِنْ قَدْ يَرَوْنَ فِي الخَارِجِ أَشْخَاصًا يَرَوْنَهَا عَيَانًا، وَمَا فِي خَيَالِ الإِنْسَانِ لَا يَرَاهُ غَيْرُهُ وَيُخَاطِبُهُمْ أُولَئِكَ الأَشْخَاصُ، وَيَحْمِلُونَهُمْ وَيَذْهَبُونَ بِهِمْ إِلَى عَرَفَاتَ فَيَقِفُونَ بِهَا، وَإِمَّا إِلَى غَيْرِ عَرَفَاتٍ، وَيَأْتُونَهُمْ بِذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، وَطَعَامٍ وَلِبَاسٍ، وَسِلَاحٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَيَخْرُجُونَ إِلَى النَّاسِ وَيَأْتُونَهُمْ أَيْضًا بِمَنْ يَطْلُبُونَهُ، مِثْلُ مَنْ يَكُونُ لَهُ إِرَادَةٌ فِي امْرَأَةٍ أَوْ صَبِيٍّ، فَيَأْتُونَهُ بِذَلِكَ إِمَّا مَحْمُولًا فِي الهَوَاءِ وَإِمَّا بِسَعْيٍ شَدِيدٍ، وَيُخْبِرُ أَنَّهُ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ مِنَ البَاعِثِ القَوِيِّ مَا لَمْ يُمْكِنْهُ الـمقَامُ مَعَهُ أَوْ يُخْبِرُ أَنَّهُ سَمِعَ خِطَابًا، وَقَدْ يَقْتُلُونَ لَهُ مَنْ يُرِيُد قَتْلَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ أَوْ يُمْرِضُونَهُ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فَهَذَا كُلُّهُ مَوْجُودٌ كَثِيرًا، لَكِنْ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا مِنَ الشَّيْطَانِ، وَأَنَّهُ مِنَ السِّحْرِ، وَأَنَّ ذَلِكَ حَصَلَ بِمَا قَالَهُ وَعَمِلَهُ مِنَ السِّحْرِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الجِنِّ، وَيَقُولُ: هَذَا كَرَامَةٌ أَكْرَمَنَا بِتَسْخِيرِ الجِنِّ لَنَا، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَظُنُّ أُولَئِكَ الأَشْخَاصَ إِلَّا آدَمِيِّينَ أَوْ مَلَائِكَةً، فَإِنْ كَانُوا غَيْرَ مَعْرُوفِينَ قَالَ: هَؤُلَاءِ رِجَالُ الغَيْبِ، وَإِنْ تَسَمَّوا فَقَالُوا: هَذِا هُوَ الخَضِرُ، وَهَذَا هُوَ إِلْيَاسُ، وَهَذَا هُوَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَهَذَا هُوَ الشَّيْخُ عَبْدُ القَادِرِ أَوِ الشَّيْخُ عَدِيٌّ أَوِ الشَّيْخُ أَحْمَدُ الرِّفَاعِيُّ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ، ظَنَّ أَنَّ الأَمْرَ كَذَلِكَ.

فَهُنَا لَمْ يَغْلَطْ لَكِنْ غَلِطَ عَقْلُهُ حَيْثُ لَمْ يَعْرِفْ أَنَّ هَذِهِ شَيَاطِينُ تَمَثَّلَتْ عَلَى صُورِ هَؤُلَاءِ، وَكَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ يَظُنُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَفْسَهُ أَوْ غَيْرَهُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ أَوِ الصَّالِحِينَ يَأْتِيهِ فِي اليَقَظَةِ، وَمَنْ يَرَى ذَلِكَ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ أَوِ الشَّيْخِ وَهُوَ صَادِقٌ فِي أَنَّهُ إِيَّاهُ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ النَّبِيُّ، أَوِ الشَّيْخُ، أَوْ قِيلَ لَهُ ذَلِكَ فِيهِ، لَكِنْ غَلِطَ حَيْثُ ظَنَّ صِدْقَ أُولَئِكَ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَالَّذِي لَهُ عَقْلٌ وَعِلْمٌ يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا لَيْسَ هُوَ النَّبِيُّ ﷺ، تَارَةً لِمَا يَرَاهُ مِنْهُمْ مِنْ مُخَالَفَةِ الشَّرْعِ، مِثْلَ أَنْ يَأْمُرُوهُ بِمَا يُخَالِفُ أَمْرَ الله وَرَسُولِهِ، وَتَارَةً يَعْلَمُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَا كَانَ يَأْتِي أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ بَعْدَ مَوْتِه فِي اليَقَظَةِ، وَلَا كَانَ يُخَاطِبُهُمْ مِنْ قَبْرِهِ، فَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا لِي! وَتَارَةً يَعْلَمُ أَنَّ المَيِّتَ لَمْ يَقُمْ مِنْ قَبْرِهِ، وَأَنَّ رُوحَهُ فِي الجَنَّةِ لَا تَصِيرُ فِي الدُّنْيَا هَكَذَا.

وَهَذَا يَقَعُ كَثِيرًا لَكَثِيرٍ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَيُسَمُّونَ تِلْكَ الصُّورَةَ رَقِيقَةَ فُلَانٍ، وَقَدْ يَقُولُونَ: هُوَ مَعْنَاهُ تَشَكَّلَ، وَقَدْ يَقُولُونَ: رُوحَانِيَّتُهُ. وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَقُولُ: إِذَا مِتُّ فَلَا تَدَعُوا أَحَدًا يَغْسِلُنِي وَلَا فُلَانًا يَحْضُرُنِي، فَإِنِّي أَنَا أَغْسِلُ نَفْسِي، فَإِذَا مَاتَ رَأَوْهُ قَدْ جَاءَ وَغَسَلَ ذَلِك البَدَنَ، وَيَكُونُ ذَلِكَ جِنِّيًا قَدْ قَالَ لِهَذَا المَيِّتِ: إِنَّكَ تَجِيءُ بَعْدَ المَوْتِ، وَاعْتَقَدَ ذَلِكَ حَقًّا؛ فَإِنَّهُ كَانَ فِي حَيَاتِهِ يَقُولُ لَهُ أُمُورًا، وَغَرَضُ الشَّيْطَانِ أَنْ يُضِلَّ أَصْحَابَهُ، وَأَمَّا بِلَادُ المُشْرِكِينَ ـ كَالهِنْدِ ـ فَهَذَا كَثِيرًا مَا يَرَونَ المَيِّتَ بَعْدَ مَوْتِهِ جَاءَ وَفَتَحَ حَانُوتَهُ، وَرَدَّ وَدَائِعَ وَقَضَى دُيُونًا، وَدَخَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ ثُمَّ ذَهَبَ، وَهُمْ لَا يَشُكُّونَ أَنَّهُ الشَّخْصُ نَفْسُهُ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ تَصَوَّرَ فِي صُورَتِهِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَكُونُ فِي جَنَازَةِ أَبِيهِ أَوْ غَيْرِهِ، وَالـمَيِّتُ عَلَى سَرِيرِهِ، وَهُوَ يَرَاهُ آخِذًا يَمْشِي مَعَ النَّاسِ بِيَدِ ابْنِهِ وَأَبِيهِ قَدْ جُعِلَ شَيْخًا بَعْدَ أَبِيهِ، فَلَا يَشُكُّ ابْنُهُ أَنَّ أَبَاهُ نَفْسَهُ هُوَ كَانَ الـمَاشِي مَعَهُ الَّذِي رَآهُ هُوَ دُونَ غَيْرِهِ، وَإِنَّمَا كَانَ شَيْطَانًا، وَيَكُونُ مِثْلَ هَذَا الشَّيْطَانِ قَدْ سَمَّى نَفْسَهُ خَالِدًا وَغَيرَ خَالِدٍ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ مِنْ رِجَالِ الغَيْبِ، وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ مِنَ الإِنْسِ الصَّالِحِينَ،وَيُسَمُّونَهُ خَالِدًا الغَيْبَيَّ، وَيَنْسِبُونَ الشَّيْخَ إِلَيْهِ فَيَقُولُونَ:مُحَمَّدٌ الخَالِدِيُّ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

فَإِنَّ الجَنَّ مَأْمُورُونَ وَمَنْهِيُّونَ كَالإِنْسِ، وَقَدْ بَعَثَ الله الرُّسُلَ مِنَ الإِنْسِ إِلَيْهِمْ وَإِلَى الإِنْسِ، وَأَمَرَ الجَمِيعَ بِطَاعَةِ الرُّسُلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ژۆۈۋۇۆۈۋ ووۋۉ ېېېىىى □□□□□□□□□ □□ ژ [الأنعام:130]، وَهَذَا بَعْدَ قَوْلِهِ: ژڈڈژژڑڑککککگگگگگگڳڳڳگگگڱںڻڻۀۀۀہہہژ [الأنعام:128].

قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: أَيْ: كَثِيرٌ مَنْ أَغْوَيْتُمْ مِنَ الإِنْسِ وَأَضْلَلْتُمُوهُمْ.
قَالَ البَغَوِيُّ: قَالَ بَعْضُهُمْ: اسْتِمْتَاعُ الإِنْسِ بِالجِنِّ مَا كَانُوا يُلْقُونَ لَهُمْ مِنَ الأَرَاجِيفِ، وَالسِّحْرِ، وَالكِهَانَةِ، وَتَزْيِينِهِمْ لَهُمُ الأُمُورَ الَّتِي يُهَيِّئُونَهَا وَيَسْهُلُ سَبِيلُهَا عَلَيْهِمْ، وَاسْتِمْتَاعُ الجِنِّ بِالإِنْسِ طَاعَةُ الإِنْسِ لَهُمْ فِيمَا يُزَيِّنُونَ لَهُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالمَعَاصِي.

قَالَ مُحَمَّدٌ بنُ كَعْبٍ: هُوَ طَاعَةُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، وَمُوَافَقَةُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ الحَسَنِ البصْرِيِّ قَالَ: مَا كَانَ اسْتِمْتَاعُ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ إِلَّا أَنَّ الجِنَّ أَمَرَتْ وَعَمِلَتِ الإِنْسُ، وَعَنْ مُحَمَّدٍ بنِ كَعْبٍ قَالَ: هُوَ الصِّحَابَةُ فِي الدُّنْيَا، وَقَالَ ابْنُ السَّائِبِ: اسْتِمْتَاعُ الإِنْسِ بِالجِنِّ اسْتِعَاذَتُهُمْ بِهِمْ، وَاسْتِمْتَاعُ الجِنِّ بِالإِنْسِ أَنْ قَالُوا: قَدْ أَسَرْنَا الإِنْسَ مَعَ الجِنِّ حَتَّى عَاذُوا بِنَا، فَيَزْدَادُونَ شَرَفًا فِي أَنْفُسِهِمْ، وَعِظَمًا فِي نُفُوسِهِم، وَهَذَا كَقَوْلِهِ: ژڈڈ ڈژژڑڑ ک ک ک ک گ ژ [الجن:6].

قُلْتُ: الاسْتِمْتَاعُ بِالشَّيْءِ:هُوَ أَنْ يَتَمَتَّعَ بِهِ، فَيَنَالَ بِهِ مَا يَطْلُبُهُ وَيُرِيدُهُ وَيَهْوَاهُ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ اسْتِمْتَاعُ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ كَمَا قَالَ: ژ ف ف ق ق ق ق ژ [النساء:24].

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَمِنْ ذَلِكَ الفَوَاحِشُ؛ كَاسْتِمْتَاعِ الذُّكُورِ بِالذُّكُورِ وَالإِنَاثِ بِالإِنَاثِ. وَيَدْخُلُ فِي هَذَا: الاسْتِمْتَاعُ بِالاسْتِخْدَامِ وَأَئِمَّةِ الرِّيَاسَةِ كَمَا يَتَمَتَّعُ الـمُلُوكُ وَالسَّادَةُ بِجُنُودِهِمْ وَمَمَالِيكِهِمْ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِك: الاسْتِمْتَاعُ بِالأَمْوَالِ كَاللِّبَاسِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ژ ے ۓ ۓ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯژ [البقرة:236]، وَكَانَ مِنَ السَّلَفِ مَنْ يُمَتِّعُ الـمَرْأَةَ بِخَادِمٍ فَهِيَ تَسْتَمْتِعُ بَخَدْمَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُمَتِّعُ بِكُسَوَةٍ أَوْ نَفَقَةٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ الفُقَهَاءُ: أَعْلَى الـمُتْعَةِ خَادِمٌ، وَأَدْنَاهَا كُسْوَةٌ تَجْزِي فِيهَا الصَّلَاةُ.

وَفِي الجُمْلَةِ، اسْتِمْتَاعُ الإِنْسِ بِالجِنِّ وَالجِنِّ بِالإِنْسِ يُشْبِهُ اسْتِمْتَاعَ الإِنْسِ بِالإِنْسِ، قَالَ تَعَالَى: ژ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ژ [الزخرف:67]، وَقَالَ تَعَالَى: ژ ﮣ ﮤ ﮥ ژ [البقرة:166]، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هِيَ الـمَوَدَّاتُ الَّتِي كَانَتْ لِغَيْرِ الله، وَقَالَ الخَلِيلُ: ژ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ژ [العنكبوت:25]، وَقَالَ تَعَالَى: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ژ [الجاثية:23]، فَالـمُشْرِكُ يَعْبُدُ مَا يَهْوَاهُ. وَاتِّبَاعُ الهَوَى هُوَ اسْتِمْتَاعٌ مِنْ صَاحِبِهِ بِمَا يَهْوَاهُ. وَقَدْ وَقَعَ فِي الإِنْسِ وَالجِنِّ هَذَا كُلُّهُ.

....

....

....

....

....

....

....

....

....

وَتَارَةً يَخْدُمُ هَؤُلَاءِ لِهَؤُلَاءِ فِي أَغْرَاضِهِمْ، وَهَؤُلَاءِ لِهَؤُلَاءِ فِي أَغْرَاضِهِمْ، فَالجِنُّ تَأْتِيهَ بِمَا يُرِيدُ مِنْ صُورَةٍ أَوْ مَالٍ أَوْ قَتْلِ عَدُوِّهِ، وَالإِنْسُ تُطِيعُ الجِنَّ، فَتَارَةً تَسْجُدُ لَهُ، وَتَارَةً تَسْجُدُ لِمَا يَأْمُرُهُ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَتَارَةً تُمَكِّنُهُ مِنْ نَفْسِهِ، فَيَفْعَلَ بِهِ الفَاحِشَةَ، وَكَذَلِكَ الجِنِّيَّاتُ مِنْهُنَّ مَنْ يُرِيدُ مِنَ الإِنْسِ الَّذِي يَخْدُمُنَهُ مَا يُرِيدُ نِسَاءُ الإِنْسِ مِنَ الرِّجَالِ، وَهَذَا كَثِيرٌ فِي رِجَالِ الجِنِّ وَنِسَائِهِمْ، فَكَثِيرٌ مِنْ رِجَالِهِمْ يَنَالُ مِنْ نِسَاءِ الإِنْسِ مَا يَنَالُهُ الإِنْسِيُّ، وَقَدْ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِالذُّكْرَانِ.

وَصَرْعُ الجِنِّ لِلإِنْسِ هُوَ لِأَسْبَابٍ ثَلَاثَةٍ: تَارَةً يَكُونُ الجِنِّيُّ يُحِبُّ الـمَصْرُوعَ فَيَصْرَعَهُ لِيَتَمَتَّعَ بِهِ، وَهَذَا الصَّرْعُ يَكُونُ أَرْفَقَ مِنْ غَيْرِهِ وَأَسْهَلَ.

وَتَارَةً يَكُونُ الإِنْسِيُّ آذَاهُمْ إِذَا بَالَ عَلَيْهِمْ، أَوْ صَبَّ عَلَيْهِمْ مَاءً حَارًّا، أَوْ يَكُونُ قَتَلَ بَعْضَهُمْ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الأَذَى، وَهَذَا أَشَدُّ الصَّرْعِ، وَكَثِيرًا مَا يَقْتُلُونَ الـمَصْرُوعَ.

وَتَارَةً يَكُونُ بِطَرِيقِ العَبَثِ بِهِ كَمَا يَعْبَثُ سُفَهَاءُ الإِنْسِ بِأَبْنَاءِ السَّبِيلِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَمِنِ اسْتِمْتَاعِ الإِنْسِ بِالجِنِّ: اسْتِخْدَامُهُمْ فِي الإِخْبَارِ بِالأُمُورِ الغَائِبَةِ، كَمَا يُخْبِرُ الكُهَّانُ، فَإِنَّ فِي الإِنْسِ مَنْ لَهُ غَرَضٌ فِي هَذَا؛ لِمَا يَحْصُلُ بِهِ مِنَ الرِّيَاسَةِ وَالمَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنْ كَانَ القَوْمُ كُفَّارًا ـ كَمَا كَانَتِ العَرَبُ ـ لَمْ تُبَالِ بِأَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ كَاهِنٌ كَمَا كَانَ بَعْضُ العَرَبِ كهانًا.

وَقَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ وَفِيهَا كُهَّانٌ، وكَانَ المُنَافِقُونَ يَطْلُبُونَ التَّحَاكُمَ إِلَى الكُهَّانِ، وَكَانَ أَبُو أَيْرَقَ الأَسْلَمِيُّ أَحَدَ الكُهَّانِ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ، وَإِنْ كَانَ القَوْمُ مُسْلِمِينَ لَمْ يُظْهِرْ أَنَّهُ كَاهِنٌ، بَلْ يَجْعَلُ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الكَرَامَاتِ، وَهُوَ مِنْ جِنْسِ الكُهَّانِ، فَإِنَّهُ لَا يَخْدُمُ الإِنْسِيَّ بِهَذِهِ الأَخْبَارِ إِلَّا لِمَا يَسْتَمْتِعُ بِهِ مِنَ الإِنْسِيِّ، بِأَنْ يُطِيعَهُ الإِنْسِيُّ فِي بَعْضِ مَا يُرِيدُهُ، إِمَّا فِي شِرْكٍ، وَإِمَّا فِي فَاحِشَةٍ، وَإِمَّا فِي أَكْلِ حَرَامٍ، وَإِمَّا فِي قَتْلِ نَفْسٍ بِغَيْرِ حَقٍّ.

فَالشَّيَاطِينُ لَهُمْ غَرَضَ فِيمَا نَهَى اللهُ عَنْهُ مِنَ الكُفْرِ وَالفُسُوقِ وَالعِصْيَانِ، وَلَهُمْ لَذَّةٌ فِي الشَّرِّ وَالفِتَنِ، يُحِبُّونَ ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَنْفَعَةٌ لَهُمْ، وَهُمْ يَأْمُرُونَ السَّارِقَ أَنْ يَسْرِقَ، وَيَذْهَبُونَ إِلَى أَهْلِ المَالِ، فَيَقُولُونَ: فُلَانٌ سَرَقَ مَتَاعَكُمْ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَلِهَذَا يُقَالُ: القُوَّةُ الـمَلَكِيَّةُ وَالبَهِيمِيَّةُ وَالسَّبُعِيَّةُ وَالشَّيْطَانِيَّةُ، فَإِنَّ الـمَلَكِيَّةَ فِيهَا العِلْمُ النَّافِعُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ. وَالبَهِيمِيَّةَ فِيهَا الشَّهَواتُ كَالأَكْلِ وَالشُّرْبِ. وَالسَّبُعِيَّةَ فِيهَا الغَضَبُ وَهُوَ دَفْعُ الـمُؤْذِي. وَأَمَّا الشَّيْطَانِيَّةُ فَشَرٌّ مَحْضٌ لَيْسَ فِيهَا جَلْبُ مَنْفَعِة وَلَا دَفْعُ مَضَرَّةٍ.

وَالفَلَاسِفَةُ وَنَحْوُهُمْ ـ مِمَّنْ لَا يَعْرِفُ الجِنَّ وَالشَّيَاطِينَ ـ لَا يَعْرِفُونَ هَذَهِ، وَإِنَّمَا يَعْرِفُونَ الشَّهْوَةَ وَالغَضَبَ، وَالشَّهْوَةُ وَالغَضَبُ خُلِقَا لِمَصْلَحَةٍ وَمَنْفَعَةٍ، لَكِنَّ الـمَذْمُومَ هُوَ العُدْوَانُ فِيهِمَا، وَأَمَّا الشَّيْطَانُ فَيَأْمُرُ بِالشَّرِّ الَّذِي لَا مَنْفَعَةَ فِيهِ، وِيُحِبُّ ذَلِكَ، كَمَا فَعَلَ إِبْلِيسُ بِآدَمَ لَمَّا وَسْوَسَ لَهُ، وَكَمَا امْتَنَعَ مِنَ السُّجُودِ لَهُ، فَالحَسَدُ يَأْمُرُ بِهِ الشَّيْطَانُ، وَالحَاسِدُ لَا يَنْتَفِعُ بِزَوالِ النِّعْمَةِ عَنِ الـمَحْسُودِ، لَكِنْ يَبْغَضُ ذَلِكَ، وَقَدْ يَكُونُ بُغْضُهُ لِفَوَاتِ غَرَضِهِ، وَقَدْ لَا يَكُونُ.

وَمِنِ اسْتِمْتَاعِ الإِنْسِ بِالجِنِّ: اسْتِخْدَامُهُمْ فِي إِحْضَارِ بَعْضِ مَا يَطْلُبُونَهُ مِنْ مَالٍ وَطَعَامٍ، وَثِيَابٍ ونَفَقَةٍ، فَقَدْ يَأْتُونَ بِبَعْضِ ذَلِكَ، وَقَدْ يَدُلُّونَهُ عَلَى كَنْزٍ وَغَيرِهِ، وَاسْتِمْتَاعُ الجِنِّ بِالإِنْسِ اسْتِعْمَالُهُمْ فِيمَا يُرِيدُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ كُفْرٍ وَفُسُوقٍ وَمَعْصِيَةٍ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَمِنِ اسْتِمْتَاعِ الإِنْسِ بِالجِنِّ: اسْتِخْدَامُهُمْ فِيمَا يَطْلُبُهُ الإِنْسُ مِنْ شِرْكٍ وَقَتْلٍ وَفَوَاحِشَ، فَتَارَةٍ يَتَمَثَّلُ الجِنِّيُّ فِي صُورَةِ الإِنْسِيِّ، فَإِذَا اسْتَغَاثَ بِهِ بَعْضُ أَتْبَاعِهِ أَتَاهُ فَظَنَّ أَنَّهُ الشَّيْخُ نَفْسُهُ، وَتَارَةٍ يَكُونُ التَّابِعُ قَدْ نَادَى شَيْخَهُ وَهَتَفَ بِهِ: يَا سَيِّدِي فَلَان، فَيَنْقُلُ الجِنِّيُّ ذَلِكَ الكَلَامَ إِلَى الشَّيْخِ بِمِثْلِ صَوْتِ الإِنْسِيِّ حَتَّى يَظُنَّ الشَّيْخُ أَنَّهُ صَوْتُ الإِنْسِيِّ بِعَيْنِهِ، ثُمَّ إِنَّ الشَّيْخَ يَقُولُ: نَعَمْ! وَيُشِيرُ إِشَارَةً يَدْفَعُ بِهَا ذَلِكَ المَكْرُوهَ، فَيَأْتِي الجِنِّيُّ بِمِثْلِ ذَلِكَ الصَّوْتِ وَالفِعْلِ، فَيَظُنَّ ذَلِكَ الشَّخْصُ أَنَّهُ شَيْخُهُ نَفْسُهُ وَهُوَ الَّذِي أَجَابَهُ، وَهُوَ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ حَتَّى إِنَّ تَابِعَ الشَّيْخِ قَدْ يَكُونُ يَدُهُ فِي إِنَاءٍ يَأْكُلُ، فَيَضَعُ الجِنِّيُّ يَدَهُ فِي صُورَةِ يَدِ الشَّيْخَ وَيَأْخُذُ مِنَ الطَّعَامِ، فَيَظُنَّ ذَلِكَ التَّابِعُ أَنَّهُ شَيْخُهُ حَاضِرٌ مَعَهُ، وَالجِنِّيُّ يُمَثِّلُ لِلشَّيْخِ نَفْسِهِ مِثْلَ ذَلِكَ الإِنَاءِ، فَيَضَعُ يَدَهُ فِيهِ حَتَّى يَظُنَّ الشَّيْخُ أَنَّ يَدَهُ فِي ذَلِكَ الإِنَاءِ، فَإِذَا حَضَرَ المُرِيدُ ذَكَرَ لَهُ الشَّيْخُ أَنَّ يَدِي كَانَتْ فِي الإِنَاءِ فَيُصَدِّقُهُ، وَيَكُونُ بَيْنَهُمَا مَسَافَةُ شَهْرٍ، وَالشَّيْخُ مَوْضِعَهُ، وَيَدُهُ لَمْ تَطُلْ، وَلَكِنَّ الجِنِّيَّ مَثَّلَ لِلشَّيْخِ وَمَثَّلَ لِلْمُرِيدِ، حَتَّى ظَنَّ كُلٌّ مِنْهُمَا أَنَّ أَحَدَهُمَا عِنْدَ الآخِرِ، وَإِنَّمَا كَانَ عِنْدَهُ مَا مَثَّلَهُ الجِنِّيُّ وَخَيَّلَهُ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَإِذَا سُئِلَ الشَّيْخُ الـمَخْدُومُ عَنْ أَمْرٍ غَائِبٍ إِمَّا سَرِقَةٍ وَإِمَّا شَخْصٍ مَاتَ، وَطُلِبَ مِنْهُ أَنْ يُخْبِرَ بَحِالِهِ، أَوْ عِلَّةٍ فِي النِّسَاءِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنَّ الجِنِّيَّ قَدْ يُمَثِّلُ ذَلِكَ فَيُرِيَهُ صُورَةَ الـمَسْرُوقِ، فَيَقُولُ الشَّيْخُ: ذَهَبَ لَكُمْ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ إِنْ كَانَ صَاحِبُ الـمَالِ مُعَظِّمًا، وَأَرَادَ أَنْ يَدُلَّه عَلَى سَرِقَتِهِ، مَثَّل لَهُ الشَّيْخُ الَّذِي أَخَـذَهُ أَوِ الـمَكَانَ الَّذِي فِيهِ الـمَالَ فَيَذْهَبُونَ إِلَيْهِ فَيَجِدُونَهُ كَمَا قَالَ، وَالأَكْثَرُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ يُظْهِرُونَ صُورَةَ الـمَالِ وَلَا يَكُونُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الَّذِي سَرَقَ الـمَالَ مَعَه أَيْضًا جِنِّيٌّ يَخْدُمُهُ.

وَالجِنُّ يَخَافُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا أَنَّ الإِنْسَ يَخَافُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَإِذَا دَلَّ الجِنِّيُّ عَلَيْهِ جَاءَ إِلَيْهِ أَوْلِيَاءُ السَّارِقِ فَآذَوْهُ، وَأَحْيَانًا لَا يَدُلُّ لِكَوْنِ السَّارِقِ وَأَعْوَانِهِ يَخْدُمُونَهُ وَيَرْشُونَهُ، كَمَا يُصِيبُ مَنْ يَعْرِفُ اللُّصُوصَ مِنَ الإِنْسِ تَارَةً يَعْرِفُ السَّارِقُ وَلَا يُعَرِّفُ بِهِ، إِمَّا لِرَغْبَةٍ يَنَالُهَا مِنْهُ، وَإِمَّا لِرَهْبَةٍ وَخَوْفٍ مِنْهُ، وَإِذَا كَانَ الـمَالُ الـمَسْرُوقُ لَكِبِيرٍ يَخَافُهُ وَيَرْجُوهُ عَرفَ سَارِقهُ. فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ مِنِ اسْتِمْتَاعِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَالجِنُّ مُكَلَّفُونَ كَتَكْلِيفِ الإِنْسِ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ مُرْسُلٌ إِلَى الثَّقَلَيْنِ الجِنِّ وَالإِنْسِ، وِكُفَّارُ الجِنِّ يَدْخُلُونَ النَّارَ بِالنُّصُوصِ وَإِجْمَاعِ الـمُسْلِمِينَ.

وَأَمَّا مُؤْمِنُوهُمْ، فَفِيهِم قَوْلَانَ، وَأَكْثَرُ العُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُم يُثَابُونَ ـ أَيْضًا ـ وَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي رَبَضِهَا يَرَاهُمُ الإِنْسُ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَوْنَ الإِنْسَ عَكْسَ الحَالِ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ حَدِيثٌ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فَي مُعْجَمِهِ الصَّغَيرَ يَحْتَاجُ إِلَى النَّظَرِ فِي إِسْنَادِهِ.

وَقَدْ احْتَجَّ ابْنُ أَبِي لَيْلَى وَأَبُو يُوسُفَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ژ ٱ ٻ ٻ ژ [الأنعام:132]، وَقَدْ ذَكَرَ الجِنَّ وَالإِنْسَ: الأَبْرَارَ وَالفُجَّارَ فِي الأَحْقَافِ وَالأَنْعَامِ. وَاحْتَجَّ الأَوْزَاعِيُّ وَغَيْرُهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ژ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ژ [الرحمن:74]، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي الأَحْقَافِ: ژ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ي ي ﻳ ﻳ □ □ ژ [الأحقاف:١٨-١٩]،وَقَدْ تَقَدَّمَ قَبْلَ هَذَا ذِكْرُ أَهْلِ الجَنَّةِ، وقوله: ژ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ژ [الأحقاف:16]، ثُمَّ قَالَ: ژ ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ [الأحقاف:١٩].

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ زَيْدٍ بنِ أَسْلَمَ: دَرَجَاتُ أَهْلِ الجَنَّةِ تَذْهَبُ عُلْوًا وَدَرَجَاتُ أَهْلِ النَّارِ تَذْهَبُ سُفْلًا، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى عَنْ قَوْلِ الجِنِّ: ﮋﯼﯽﯾﯿ□□ □□□ﮊ [الجن:11]، وَقَـالُوا: ﮋﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﮊ [الجن:١٤-١٥]، فَفِيهِمْ الكُفَّارُ وَالفُسَّاقُ وَالعُصَاةُ، وَفِيهِمْ مِنْ فِيهِ عِبَادَةٌ وَدِينٌ بِنَوْعٍ مِنْ قِلَّةِ العِلْمِ كَمَا فِي الإِنْسِ، وَكُلُّ نَوْعٍ مِنَ الجِنِّ يَمِيلُ إِلَى نَظِيرِهِ مِنَ الإِنْسِ، فَاليَهُودُ مَعَ اليَهُودِ، وَالنَّصَارَى مَعَ النَّصَارَى، وَالـمُسْلِمُونَ مَعَ الـمُسْلِمِينَ، وَالفُسَّاقُ مَعَ الفُسَّاقِ، وَأَهْلُ الجَهْلِ وَالبِدَعِ مَعَ أَهْلِ الجَهْلِ وَالبِدَعِ.

وَاسْتِخْدَامُ الإِنْسِ لَهُمْ مِثْلُ اسْتِخْدَامِ الإِنْسِ لِلْإِنْسِ بِشَيْءٍ، مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَخْدِمُهُمْ فِي الـمُحَرَّمَاتِ مِنَ الفَوَاحِشِ، وَالظُّلْمِ، وَالشِّرْكِ، وَالقَوْلِ عَلَى الله بِلَا عِلْمٍ، وَقَدْ يَظُنُّونَ ذَلِكَ مِنَ كَرَامَاتِ الصَّالِحِينَ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ أَفْعَالِ الشَّيَاطِينِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَخْدِمُهُمْ فِي أُمُورٍ مُبَاحَةٍ، إِمَّا إِحْضَارُ مَالِهِ،أَوْ دَلَالَةٌ عَلَى مَكَانٍ فِيهِ مَالٌ لَيْسَ لَهُ مَالِكٌ مَعْصُومٌ، أَوْ دَفْعُ مَنْ يُؤْذِيهِ وَنَحْوُ ذَلِكَ، فَهَذَا كَاسْتِعَانَةِ الإِنْسِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ فِي ذَلِكَ.

....

....

....

....

....

....

....

....

....

وَالنَّوْعُ الثَّالِثُ: أَنْ يَسْتَعْمِلَهُمْ فِي طَاعَةِ الله وَرَسُولِهِ، كَمَا يَسْتَعْمِلُ الإِنْسَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ، فَيَأْمُرُهُمْ بِمَا أَمَرَ الله بِهِ وَرَسُولُهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَمَّا نَهَاهُمُ الله عَنْهُ وَرَسُولُهُ كَمَا يَأْمُرُ الإِنْسَ وَيَنْهَاهُمْ، وَهَذِهِ حَالُ نَبِيِّنَا ﷺ وَحَالُ مَنِ اتَّبَعَهُ وَاقْتَدَى بِهِ مِنْ أُمَّتِهِ، وَهُمْ أَفْضَلُ الخَلْقِ، فَإِنَّهُمْ يَأْمُرُونَ الإِنْسَ وَالجِنَّ بِمَا أَمَرَهُمُ الله بِهِ وَرَسُولُهُ، وَيَنْهَوْنَ الإِنْسَ وَالجِنَّ عَمَّا نَهَاهُمُ الله عَنْهُ وَرَسُولُهُ؛ إِذْ كَانَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ مَبْعُوثًا بِذَلِكَ إِلَى الثَّقَلَيْنِ الإِنْسِ وَالجِنِّ، وَقَدْ قَالَ الله لَهُ: ژ چ ڇ ڍ ڌ ڎ ڈ ڏ ڐ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ گ ژ [يوسف:108]، وَقَالَ: ژ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ژ [آل عمران:31].

وَعُمَرُ رَضِيَ الله عَنْهُ لَـمَّا نَادَى: يَا سَارِيَةُ، الجَبَلَ، قَالَ: إِنَّ لله جُنُودًا يُبَلِّغُونَ صَوْتِي، وَجُنُودُ الله هُمْ مِنَ الـمَلَائِكَةِ وَمِنْ صَالِحِي الجِنِّ، فَجُنُودُ الله بَلَّغُوا صَوْتَ عُمَرَ إِلَى سَارِيَةَ، وَهُوَ أَنَّهُمْ نَادَوْهُ بِمِثْلِ صَوْتِ عُمَرَ، وَإِلَّا نَفْسُ صَوْتِ عُمَرَ لَا يَصِلُ نَفْسُهُ فِي هَذِهِ الـمَسَافَةِ البَعِيدَةِ.

وَهَذَا كَالرَّجُلِ يَدْعُو آخَرَ وَهُوَ بَعِيدٌ عَنْهُ، فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ، فَيُعَانُ عَلَى ذَلِكَ، فَيَقُولُ الوَاسِطَةُ بَيْنَهُمَا: يَا فُلَانُ، وَقَدْ يَقُولُ لِمَنْ هُوَ بَعِيْد عَنْهُ: يَا فُلَانُ، احْبِسِ المَاءَ، تَعَالَ إِلَيْنَا، وَهُوَ لَا يَسْمَعُ صَوْتَهُ، فَيُنَادِيهِ الوَاسِطَةُ بِمِثْلِ ذَلِك: يَا فُلَانُ، احْبِسِ المَاءَ، أَرْسِلِ المَاءَ، إِمَّا بِمِثْلِ صَوْتِ الأَوَّلِ إِنْ كَانَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا صَوْتَهُ، وَإِلَّا فَلَا يَضُرُّ بِأَيِّ صَوْتٍ كَانَ، إِذَا عَرِفَ أَنَّ صَاحِبَهُ قَدْ نَادَاهُ.

وَهَذِهِ حِكَايَةٌ: كَانَ عُمَرُ مَرَّةً قَدْ أَرْسَلَ جَيْشًا، فَجَاءَ شَخْصٌ وَأَخْبَرَ أَهْلَ المَدِينَةِ بِانْتِصَارِ الجَيْشِ وَشَاعَ الخَبَرُ، فَقَالَ عُمَرُ: مِنْ أَيْنَ لَكُمْ هَذَا؟ قَالُوا: شَخْصٌ صِفَتُهُ كَيْتَ وَكَيْتَ فَأَخْبَرَنَا، فَقَالَ عُمَرُ: ذَاكَ أَبُو الهَيْثَمِ بَرِيدُ الجِنِّ، وَسَيَجِيءُ بَرِيدُ الإِنْسَانِ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ.

وَقَدْ يَأْمُرُ المَلَكُ بَعْضَ النَّاسِ بِأَمْرٍ وَيَسْتَكْتِمُهُ إِيَّاهُ فَيَخْرُجُ فَيَرَى النَّاسَ يَتَحَدَّثُونَ بِهِ، فَإِنَّ الجِنَّ تَسْمَعُهُ وَتُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ، وَالَّذِينَ يَسْتَخْدِمُونَ الجِنَّ فِي المُبَاحَاتِ يُشْبِهُ اسْتِخْدَامَ سُلَيْمَانَ، لَكِنْ أُعْطِيَ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ بَعْدَهُ، وَسُخِّرَتْ لَهُ الإِنْسُ وَالجِنُّ، وَهَذَا لَمْ يَحْصُلْ لِغَيْرِهِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمَّا تَفَلَّتَ عَلَيْهِ العِفْرِيتُ لِيَقْطَعَ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ قَالَ: «**فَأَخَذْتُهُ، فَذَعَتُّهُ حَتَّى سَالَ لُعَابُهُ عَلَى يَدِي، وَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الـمَسْجِدِ، ثُمَّ ذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ فَأَرْسَلْتُهُ**»، [قَوْلُهُ: (فَذَعَتُّهُ): أَيْ خَنَقْتُهُ]. فَلَمْ يَسْتَخْدِمِ الجِنَّ أَصْلًا، لَكِنْ دَعَاهُمْ إِلَى الإِيمَانِ بِالله، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ القُرْآنَ، وَبَلَّغَهُمْ الرِّسَالَةَ، وَبَايَعَهُمْ كَمَا فَعَلَ بِالإِنْسِ.

وَالَّذِي أُوتِيَهُ ﷺ أَعْظَمُ مِمَّا أُوتِيَهُ سُلَيْمَانُ؛ فَإِنَّهُ اسْتَعْمَلَ الجِنَّ وَالإِنْسَ فِي عِبَادَةِ الله وَحْدَهُ، وَسَعَادَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، لَا لِغَرَضٍ يَرْجِعُ إِلَيْهِ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله وَطَلَبِ مَرْضَاتِهِ، وَاخْتَارَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا رَسُولًا عَلَى أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَلِكًا، فَدَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ وَيُوسُفُ أَنْبِيَاءٌ مُلُوكٌ، وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ رُسُلٌ عَبِيدٌ، فَهُوَ أَفْضَلُ، كَفَضْلِ السَّابِقِينَ الـمُقَرَّبِينَ عَلَى الأَبْرَارِ أَصْحَابِ اليَمِينِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وكَثِيرٌ مِمَّن يَرَى هَذِهِ العَجَائِبِ الخَارِقَةِ يَعْتَقِدُ أَنَّهَا مِنْ كَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ، وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكَلَامِ وَالعِلْمِ لَمْ يَعْرِفُوا الفَرْقَ بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي الآيَاتِ الخَارِقَةِ وَمَا لِأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ مِنْ ذَلِكَ ـ مِنَ السَّحَرَةِ وَالكُهَّانِ وَالكُفَّارِ مِنَ الـمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الكِتَابِ، وَأَهْلِ البِدَعِ وَالضَّلَالِ مِنَ الدَّاخِلِينَ فِي الإِسْلَامِ ـ فَجَعَلُوا الخَوَارِقَ جِنْسًا وَاحِدًا، وَقَالُوا: كُلُّهَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ مُعْجِزَةً إِذَا اقْتَرَنَتْ بِدَعْوَى النُّبُوَّةِ وَالاسْتِدْلَالِ بِهَا وَالتَّحَدِّي بِمِثْلِهَا.

وَإِذَا ادَّعَى النُّبُوَّةَ مَنْ لَيْسَ بِنَبِيٍّ مِنَ الكُفَّارِ وَالسَّحَرَةِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَسْلُبَهُ الله مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَأَنْ يُقَيِّضَ لَهُ مَنْ يُعَارِضُهُ، وَلَوْ عَارَضَ وَاحِدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّبِيَّ لَأَعْجَزَهُ الله، فَخَاصَّةُ الـمُعْجِزَاتِ عِنْدَهُمْ مُجَرَّدُ كَوْنِ الـمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِ مَا أَتَى بِهِ النَّبِيُّ مِمَّا لَمْ يَكُنْ مُعْتَادًا لِلنَّاسِ، قَالُوا: إِنَّ عَجْزَ النَّاسِ عَنِ الـمُعَارَضَةِ خَرْقُ عَادَةٍ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فَهَذِهِ هِيَ الـمُعْجِزَاتُ عِنْدَهُمْ، وَهُمْ ضَاهَوْا سَلَفَهُمْ مِنَ الـمُعْتَزِلَةِ الَّذِينَ قَالُوا: الـمُعْجِزَاتُ هِيَ خَرْقُ العَادَةِ، لَكِنْ أَنْكَرُوا كَرَامَاتِ الصَّالِـحِينَ، وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ السِّحْرُ وَالكِهَانَةُ إِلَّا مِنْ جِنْسِ الشَّعْبَذَةِ وَالحِيَلِ، لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الشَّيَاطِينَ تُعِينُ عَلَى ذَلِكَ، وَأُولَئِكَ أَثْبَتُوا الكَرَامَاتِ ثُمَ زَعَمُوا أَنَّ الـمُسْلِمِينَ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ هَذِهِ لَا تَكُونُ إِلَّا لِرَجُلٍ صَالِـحٍ أَوْ نَبِيٍّ، قَالُوا: فَإِذَا ظَهَرَتْ عَلَى يَدِ رَجُلٍ كَانَ صَالِـحًا بَهِذَا الإِجْمَاعِ.

وَهَؤُلَاءِ ـ أَنْفُسُهُمْ ـ قَدْ ذَكَرُوا أَنَّهُ يَكُونُ لِلسَّحَرَةِ مَا هُوَ مِثْلُهَا، وَتَنَاقَضُوا فِي ذَلِكَ، كَمَا قَدْ بُسِطَ فِي غَيْرِ هَذَا الـمَوْضِعِ.

فَصَارَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ مَا لِلسَّحَرَةِ وَالكُهَّانِ، وَمَا يَفْعَلُهُ الشَّيَاطِينُ مِنَ العَجَائِبِ، وَظَنُّوا أَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا لِرَجُلٍ صَالِحٍ، فَصَارَ مَنْ ظَهَرَتْ هَذِهِ لَهُ يَظُنُّ أَنَّهَا كَرَامَةٌ، فَيَقْوَى قَلْبُهُ بِأَنَّ طَرِيقَتَهُ هِيَ طَرِيقَةُ الأَوْلِيَاءِ، وَكَذَلِكَ غَيْرُهُمْ يَظُنُّ فِيهِ ذَلِكَ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ثُمَّ يَقُولُونَ: الوَلِيُّ إِذَا تَوَلَّى لَا يُعْتَرَضُ عَلَيْهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَرَاهُ مُخَالِفًا لِمَا عُلِمَ بِالاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الرَّسُولِ مِثْلِ: تَرْكِ الصَّلَاةِ المَفْرُوضَةِ، وَأَكْلِ الخَبَائِثِ كَالخَمْرِ، وَالحَشِيشَةِ، وَالمَيْتَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَفِعْلِ الفَوَاحِشِ، وَالفُحْشِ وَالتَّفَحُّشِ فِي المَنْطَقِ، وِظُلْمِ النَّاسِ، وَقَتْلِ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَالشِّرْكِ بِالله، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَظُنُّ فِيهِ أَنَّهُ وَلِيٌّ مِنْ أَوْلِيَاءِ الله قَدْ وَهَبَهُ هَذِهِ الكَرَامَاتِ بِلَا عَمَلٍ، فَضْلًا مِنَ الله تَعَالَى، وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ هَذِهِ مِنْ أَعْمَالِ الشَّيَاطِينِ، وَأَنَّ هَذِهِ مِنْ أَوْلِيَاءِ الشَّيَاطِينِ تُضِلُّ بِهَا النَّاسَ وَتُغْوِيهِمْ.

وَدَخَلَتِ الشَّيَاطِينُ فِي أَنْوَاعٍ مِنْ ذَلِكَ، فَتَارَةً يَأْتُونَ الشَّخْصَ فِي النَّوْمِ، يَقُولُ أَحَدُهُمْ: أَنَا أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ، وَأَنَا أُتوّبِكَ لِي، وَأَصِيرُ شَيْخَكَ، وَأَنْتَ تَتَوّبُ النَّاسَ لِي، وَيُلْبِسُهُ فَيُصْبِحُ وَعَلَى رَأْسِهِ مَا أَلْبَسَهُ، فَلَا يَشُكُّ أَنَّ الصِّدِّيقَ هُوَ الَّذِي جَاءَهُ وَلَا يَعْلَمُ أَنَّهُ الشَّيْطَانُ، وَقَدْ جَرَى مِثْلُ هَذَا لِعِدَّةٍ مِنَ المَشَايِخِ بِالعِرَاقِ وِالجَزِيرَةِ وَالشَّامِ. وَتَارَةً يَقُصُّ شَعْرَهُ فِي النَّوْمِ فَيُصْبِحُ فَيَجِدُ شِعْرَهُ مَقْصُوصًا. وَتَارَةً يَقُولُ: أَنَا الشَّيْخُ فُلَانٌ، فَلَا يَشُكُّ أَنَّ الشَّيْخَ نَفْسَهُ جَاءَهُ وَقَصَّ شَعْرَهُ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَكَثِيرًا مَا يَسْتَغِيثُ الرَّجُلُ بِشَيْخِهِ الحَيِّ أَوِ الـمَيِّتِ، فَيَأْتُونَهُ فِي صُورَةِ ذَلِكَ الشَّيْخِ، وَقَدُ يُخَلِّصُونَهُ مِمَّا يَكْرَهُ فَلَا يَشُكُّ أَنَّ الشَّيْخَ نَفْسَهُ جَاءَهُ، أَوْ أَنَّ مَلَكًا تَصَوَّر بِصُورَتِهِ وَجَاءَهُ، وَلَا يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ الَّذِي تَمَثَّلَ إِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ لَمَّا أَشْرَكَ بِالله أَضَلَّتْهُ الشَّيَاطِينُ، وَالـمَلَائِكَةُ لَا تُجِيبُ مُشْرِكًا.

وَتَارَةً يَأْتُونَ إِلَى مَنْ هُوَ خَالٍ فِي البَرِّيَّةِ، وَقَدْ يَكُونُ مَلِكًا أَوْ أَمِيرًا كَبِيرًا، وَيَكُونُ كَافِرًا، وَقَدِ انْقَطَعَ عَنْ أَصْحَابِهِ وَعَطِشَ وَخَافَ الـمَوْتَ، فَيَأْتِيهِ فِي صُورَةِ إِنْسِيٍّ وَيَسْقِيهِ وَيَدْعُوهُ إِلَى الإِسْلَامِ وَيُتَوِّبَهُ، فَيُسْلِمُ عَلَى يَدَيْهِ وَيُتَوِّبُهُ وَيُطْعِمُهُ، وَيَدُلُّهُ عَلَى الطَّرِيقِ، وَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا فُلَانٌ، وَيَكُونُ [مِنْ مُؤْمِنِي الجِنِّ]، كَمَا جَرَى مِثْلُ هَذَا لِي. كُنْتُ فِي مِصْرَ فِي قَلْعَتِهَا.

وَجَرَى مِثْلُ هَذَا إِلَى كَثِيرٍ مِنَ التُّرْكِ مِنْ نَاحِيَةِ الـمَشْرِقِ، وَقَالَ لَهُ ذَلِكَ الشَّخْصُ: أَنَا ابْنُ تَيْمِيَّةَ، فَلَمْ يَشُكَّ ذَلِكَ الأَمِيرُ أَنِّي أَنَا هُوَ، وَأَخْبَرَ بِذَلِكَ مَلِكَ مَارْدِينَ، وَأَرْسَلَ بِذَلِكَ مَلِكُ مَارْدِينَ إِلَى مَلِكِ مِصْرَ رَسُولًا وَكُنْتُ فِي الحَبْسِ، فَاسْتَعْظَمُوا ذَلِكَ وَأَنَا لَمْ أَخْرُجْ مِنَ الحَبْسِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَلَكِنْ كَانَ هَذَا جِنِّيًّا يُحِبُّنَا فَيَصْنَعُ بِالتُّرْكِ التَّتَرِ مِثْلَ مَا كُنْتُ أَصْنُع بِهِمْ؛ لَمَّا جَاؤُوا إِلَى دِمَشْقَ: كُنْتُ أَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، فَإِذَا نَطَقَ أَحَدُهُمْ بِالشَّهَادَتَيْنِ أَطْعَمْتُهُمْ مَا تَيَسَّرَ، فَعَمِلَ مَعَهُمْ مِثْلَ مَا كُنْتُ أَعْمَلُ، وَأَرَادَ بِذَلِكَ إِكْرَامِي لِيَظُنَّ ذَاكَ أَنِّي أَنَا الَّذِي فَعَلْتُ ذَلِكَ.

قَالَ لِي طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ: فَلِمَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَلَكًا؟ قُلْتُ: لَا. إِنَّ الـمَلَكَ لَا يَكْذِبُ، وَهَذَا قَدْ قَالَ: أَنَا ابْنُ تَيْمِيَّةَ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ كَاذِبٌ فِي ذَلِكَ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ رَأَى مَنْ قَالَ: إِنِّي أَنَا الخَضِرُ، وَإِنَّمَا كَانَ جِنِّيًّا.

ثُمَّ صَارَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَكْذِبُ بِهَذِهِ الحِكَايَاتِ إِنْكَارًا لِـمَوْتِ الخَضِرِ، والَّذِينَ قَدْ عَرِفُوا صِدْقَهَا يَقْطَعُونَ بِحَيَاةِ الخَضِرِ، وَكِلَا الطَّائِفَتَيْنِ مُخْطِئٌ، فَإِنَّ الَّذِينَ رَأَوا مَنْ قَالَ: إِنِّي أَنَا الخَضِرُ، هُمْ كَثِيرُونَ صَادِقُونَ، وَالحِكَايَاتُ مُتَوَاتِرَاتٌ، لَكِنْ أَخْطَؤُوا فِي ظَنِّهِمْ أَنَّهُ الخَضِرُ، وَإِنَّمَا كَانَ جِنِّيًّا؛ وَلِهَذَا يَجْرِي مِثْلُ هَذَا لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَكَثِيرًا مَا يَأْتِيهِم فِي كَنَائِسِهِمْ مَنْ يَقُولَ: إِنَّهُ الخَضِرُ، وَكَذَلِكَ اليَهُودُ يَأْتِيهِمْ فِي كَنَائِسِهِمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ الخَضِرُ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَفِي ذَلِكَ مِنَ الحِكَايَاتِ الصَّادِقَةِ مَا يَضِيقُ عَنْهُ هَذَا الـمَوْضِعُ، يُبَيِّنُ صِدْقَ مَنْ رَأَى شَخْصًا وَظَنَّ أَنَّهُ الخَضِرُ، وَأَنَّهُ غَلِطَ فِي ظَنِّهِ أَنَّهُ الخَضِرُ، وَإِنَّمَا كَانَ جِنِّيًّا، وَقَدْ يَقُولُ: أَنَا الـمَسِيحُ، أَوْ مُوسَى، أَوْ مُحَمَّدٌ، أَوْ أَبُو بَكْرٍ، أَوْ عُمَرُ، أَوِ الشَّيْخُ فُلَانٌ، فَكُلُّ هَذَا قَدْ وَقَعَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ رَآنِي فِي الـمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي حَقًّا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي**».

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فِي صُورَتِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا فِي حَيَاتِهِ. وَهَذِهِ رُؤْيَةٌ فِي الـمَنَامِ، وَأَمَّا فِي اليَقَظَةِ فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الـمَوْتَى يَجِيءُ بِنَفْسِهِ لِلنَّاسِ عَيَانًا قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ، فَمِنْ جَهْلِهِ أُتِيَ.

وَمِنْ هُنَا ضَلَّتِ النَّصَارَى؛ حَيْثُ اعْتَقَدُوا أَنَّ الـمَسِيحَ بَعْدَ أَنْ صُلِبَ ـ كَمَا يَظُنُّونَ ـ أَنَّهُ أَتَى إِلَى الحَوَارِيِّينَ وَكَلَّمَهُمْ وَوَصَّاهُمْ. وَهَذَا مَذْكُورٌ فِي أَنَاجِيلِهِمْ، وَكُلُّهَا تَشْهَدُ بِذَلِكَ، وَذَاكَ الَّذِي جَاءَ كَانَ شَيْطَانًا، قَالَ: أَنَا الـمَسِيحُ، وَلَمْ يَكُنْ هُوَ الـمَسِيحُ نَفْسُهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَشْتَبِهَ مِثْلُ هَذَا عَلَى الحَوَارِيِّينَ كَمَا اشْتَبَهَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ شُيُوخِ الـمُسْلِمِينَ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَلَكِنْ مَا أَخْبَرَهُمْ الـمَسِيحُ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ بِتَبْلِيغِهِ فَهُوَ الحَقُّ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِمْ تَبْلِيغُهُ، وَلَمْ يُرْفَعْ حَتَّى بَلَّغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ، فَلَا حَاجَةَ إِلى مَجِيئِهِ بَعْدَ أَنْ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ.

وَأَصْحَابُ الحَلَّاجِ لَمَّا قُتِلَ كَانَ يَأْتِيهِمْ مَنْ يَقُولُ: أَنَا الحَلَّاجُ، فَيَرَوْنَهُ فَي صُورَتِهِ عَيَانًا، وَكَذَلِكَ شَيْخٌ بِمِصْرَ يُقَالُ لَهُ الدُّسُوقَيُّ بَعْدَ أَنْ مَاتَ كَانَ يَأْتِي أَصْحَابَهُ مِنْ جِهَتِهِ رَسَائِلُ وَكُتُبٌ مَكْتُوبَةٌ، وَأَرَانِي صَادِقٌ مِنْ أَصْحَابِهِ الكِتَابَ الَّذِي أَرْسَلَهُ، فَرَأَيْتُهُ بِخَطِّ الجِنِّ ـ وَقَدْ رَأَيْتُ خَطَّ الجِنِّ غَيْرَ مَرَّةٍ ـ وَفِيهِ كَلَامٌ مِنَ كِلَامِ الجِنِّ، وَذَاكَ الـمُعْتَقِدُ يَعْتَقِدُ أَنَّ الشَّيْخَ حَيٌّ، وكَانَ يَقُولُ: انْتَقَلَ ثُمَّ مَاتَ. وَكَذَلِكَ شَيْخٌ آخَرَ كَانَ بِالـمَشْرِقِ وَكَانَ لَهُ خَوَارِقُ مِنَ الجِنِّ. وَقِيلَ: كَانَ بَعْدَ هَذَا يَأْتِي خَوَاصَّ أَصْحَابِهِ فِي صُورَتِهِ فَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ هُوَ، وَهَكَذَا الَّذِينَ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ بَقَاءَ عَلِيٍّ أَوْ بَقَاءَ مُحَمَّدٍ ابْنِ الحَنَفِيَّةِ، قَدْ كَانَ يَأْتِي إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِمْ جِنِّيٌّ فِي صُورَتِهِ، وَكَذَا مُنْتَظَرُ الرَّافِضَةِ قَدْ يَرَاهُ أَحَدُهُمْ أَحْيَانًا وَيَكُونُ الـمَرْئِيُّ جِنِّيًّا.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ وَاقِعٌ كَثِيرًا، وَكُلَّمَا كَانَ القَوْمُ أَجْهَلَ كَانَ عِنْدَهُمْ أَكْثَرُ، فَفِي الـمُشْرِكِينَ أَكْثَرُ مِمَّا فِي النَّصَارَى، وَهُوَ فِي النَّصَارَى كَمَا هُوَ فِي الدَّاخِلِينَ فِي الإِسْلَامِ، وَهَذِهِ الأُمُورُ يُسْلِمُ بِسَبَبِهَا نَاسٌ، وَيَتُوبُ بِسَبَبِهَا نَاسٌ يَكُونُونَ أَضَلَّ مِنْ أَصْحَابِهَا، فَيَنْتَقِلُونَ بِسَبَبِهَا إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ، كَالشَّيْخِ الَّذِي فِيهِ كَذِبٌ وَفُجُورٌ مِنَ الإِنْسِ، قَدْ يَأْتِيهِ قَوْمٌ كُفَّارٌ فَيَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ فَيُسْلِمُونَ وَيَصِيرُونَ خَيْرًا مِمَّا كَانُوا، وَإِنْ كَانَ قَصْدُ ذَلِكَ الرَّجُلِ فَاسِدًا، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ، وَبِأَقْوَامٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ**».

وَهَذَا كَالحُجَجِ وَالأَدِلَّةِ الَّتِي يَذْكُرُهَا كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكَلَامِ وَالرَّأْيِ؛ فَإِنَّهُ يَنْقَطِعُ بِهَا كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ البَاطِلِ، وَيَقْوَى بِهَا قُلُوبُ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الحَقِّ، وَإِنْ كَانَتْ فِي نَفْسِهَا بَاطِلَةٌ فَغَيْرُهَا أَبْطَلُ مِنْهَا، وَالخَيْرُ وَالشَّرُّ دَرَجَاتٌ، فَيَنْتَفِعُ بِهَا أَقْوَامٌ يَنْتَقِلُونَ مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَقَدْ ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنْ مُبْتَدِعَةِ الـمُسْلِمِينَ ـ مِنَ الرَّافِضَةِ وَالجَهْمِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ ـ إِلَى بِلَادِ الكُفَّارِ، فَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَانْتَفَعُوا بِذَلِكَ وَصَارُوا مُسْلِمِينَ مُبْتَدِعِينَ، وَهُوَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونُوا كُفَّارًا، وَكَذَلِكَ بَعْضُ الـمُلُوكِ قَدْ يَغْزُو غَزْوًا يَظْلِمُ فِيهِ الـمُسْلِمِينَ وَالكُفَّارَ، وَيَكُونُ آثِمًا بِذَلِكَ، وَمَعَ هَذَا فَيَحْصُلُ بِهِ نَفْعُ خَلْقٍ كَثِيرٍ كَانُوا كُفَّارًا فَصَارُوا مُسْلِمِينَ، وَذَاكَ كَانَ شَرًّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى القَائِمِ بِالوَاجِبِ، وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الكُفَّارِ فَهُوَ خَيْرٌ.

وَكَذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ الأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ والفِضَائِلِ وَالأَحْكَامِ والقِصَصِ، قَدْ يَسْمَعُهَا أَقْوَامٌ فَيَنْتَفِلُونَ بِهَا إِلَى خَيْرٍ مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ، وإِنْ كَانَتْ كَذِبًا، وَهَذَا كَالرَّجُلِ يُسْلِمُ رَغْبَةً فَي الدُّنْيَا وَرَهْبَةً مِنَ السَّيْفِ، ثُمَّ إِذَا أَسْلَمَ وَطَالَ مُكْثُهُ بَيْنَ الـمُسْلِمِينَ دَخَلَ الإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ، فَنَفْسُ ذُلِّ الكُفْرِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ وَانْقِهَارُهُ وَدُخُولُهُ فِي حُكْمِ الـمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَبْقَى كَافِرًا، فَانْتَقَلَ إِلَى خَيْرٍ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ، وَخَفَّ الشَّرُّ الَّذِي كَانَ فِيهِ، ثُمَّ إِذَا أَرَادَ الله هِدَايَتَهُ أَدْخَلَ الإِيمَانَ فَي قَلْبِهِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَالله تَعَالَى بَعَثَ الرُّسُلَ بِتَحْصِيلِ الـمَصَالِحِ وَتَكْمِيلِهَا، وَتَعْطِيلِ الـمَفَاسِدِ وَتَقْلِيلِهَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ دَعَا الخَلْقَ بِغَايَةِ الإِمْكَانِ، وَنَقَلَ كُلَّ شَخْصٍ إِلَى خَيْرٍ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ بِحَسْبِ الإِمْكَانِ، ژﮉ□□□□□□□□□□ژ [الأحقاف:19].

وَأَكْثَرُ الـمُتَكَلِّمِينَ يَرُدُّونَ بَاطِلًا بِبَاطِلٍ، وَبِدْعَةً بِبِدْعَةٍ، لَكِنْ قَدْ يَرُدُّونَ بَاطِلَ الكُفَّارِ مِنَ الـمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الكِتَابِ بِبَاطِلِ الـمُسْلِمِينَ، فَيَصِيرُ الكَافِرُ مُسْلِمًا مُبْتَدِعًا، وَأَخُصُّ مَنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَرُدُّ البِدَعَ الظَّاهِرَةَ ـ كَبِدْعَةِ الرَّافِضَةِ ـ بِبِدْعَةٍ أَخَفَّ مِنْهَا ـ وَهِيَ بِدْعَةُ أَهْلَ السُّنَّةِ ـ وَقَدْ ذَكَرْنَا فِيمَا تَقَدَّمَ أَصْنَافَ البِدَعِ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ المُعْتَزِلَةَ خَيْرٌ مِنْ الرَّافِضَةِ وَمِنْ الْخَوَارِجِ؛ فَإِنَّ المُعْتَزِلَةَ تُقِرُّ بِخِلَافَةِ الخُلَفَاءِ الأَرْبَعَةِ، وَكُلُّهُمْ يَتَوَلَّوْنَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ، وَكَذَلِكَ المَعْرُوفُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَتَوَلَّوْنَ عَلِيًّا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُفَضِّلُهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَلَكِنْ حُكِيَ عَنْ بَعْضِ مُتَقَدِّمِيهِمْ أَنَّهُ قَالَ: فَسَقَ يَوْمَ الجَمَلِ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَلَا أَعْلَمُ عَيْنَهَا.

وَقَالُوا: إِنَّهُ قَالَ: لَوْ شَهِدَ عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ لَمْ أَقْبَلْ شَهَادَتَهُمَا لِفِسْقِ أَحَدِهِمَا لَا بِعَيْنِهِ، وَلَوْ شَهِدَ عَلِيٌّ مَعَ آخَرَ فَفِي قَبُولُ شَهَادَتِهِ قَوْلَانِ. وَهَذَا القَوْلُ شَاذٌّ فِيهِمْ، وَالَّذِي عَلَيْهِ عَامَّتُهُمْ تَعْظِيمُ عَلِيٍّ.

وَمِنْ المَشْهُورِ عِنْدَهُمْ ذَمُّ مُعَاوِيَةَ وَأَبِي مُوسَى وَعَمْرِو بْنِ العَاص لِأَجْلِ عَلِيٍّ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُكَفِّرُ هَؤُلَاءِ وَيُفَسِّقُهُمْ، بِخِلَافِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَعَائِشَةَ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ تَابُوا مِنْ قِتَالِهِ، وَكُلُّهُمْ يَتَوَلَّى عُثْمَانَ وَيُعَظِّمُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَيُعَظِّمُونَ الذُّنُوبَ، فَهُمْ يَتَحَرَّوْنَ الصِّدْقَ كَالخَوَارِجِ، لَا يَخْتَلِقُونَ الْكَذِبَ كَالرَّافِضَةِ، وَلَا يَرَوْنَ أَيْضًا اتِّخَاذَ دَارٍ غَيْرَ دَارِ الإِسْلَامِ كَالخَوَارِجِ، وَلَهُمْ كُتُبٌ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَنَصْرِ الرَّسُولِ، وَلَهُمْ مَحَاسِنُ كَثِيرَةٌ يَتَرَجَّحُونَ عَلَى الخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ، وَهُمْ قَصْدُهُمْ إِثْبَاتُ تَوْحِيدِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، وَحِكْمَتِهِ وَصِدْقِهِ، وَطَاعَتِهِ. وَأُصُولُهُمْ الخَمْسُ عَنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ الخَمْسِ، لَكِنَّهُمْ غَلِطُوا فِي بَعْضِ مَا قَالُوهُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أُصُولِهِمْ الخَمْسِ، فَجَعَلُوا مِنْ التَّوْحِيدِ: نَفْيَ الصِّفَاتِ وَإِنْكَارَ الرُّؤْيَةِ، وَالقَوْلَ بِأَنَّ القُرْآنَ مَخْلُوقٌ، فَوَافَقُوا فِي ذَلِكَ الجَهْمِيَّة.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَجَعَلُوا مِنْ العَدْلِ: أَنَّهُ لَا يَشَاءُ مَا يَكُونُ، وَيَكُونُ مَا لَا يَشَاءُ، وَأَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْ أَفْعَالَ العِبَادِ، فَنَفَوْا قُدْرَتَهُ وَمَشِيئَتَهُ وَخَلْقَهُ لِإِثْبَاتِ الْعَدْلِ.

وَجَعَلُوا مِنْ الرَّحْمَةِ نَفْيَ أُمُورٍ خَلَقَهَا لَمْ يَعْرِفُوا مَا فِيهَا مِنْ الحِكْمَةِ.

وَكَذَلِكَ هُمْ وَالخَوَارِجُ قَالُوا بِـ إِنْفَاذِ الوَعِيدِ لِيُثْبِتُوا أَنَّ الرَّبَّ صَادِقٌ لَا يَكْذِبُ؛ إِذْ كَانَ عِنْدَهُمْ قَدْ أَخْبَرَ بِالوَعِيدِ العَامِّ، فَمَتَى لَمْ يَقُلْ بِذَلِكَ لَزِمَ كَذِبُهُ، وَغَلِطُوا فِي فَهْمِ الوَعِيدِ. وَكَذَلِكَ [الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ بِالسَّيْفِ] قَصَدُوا بِهِ طَاعَةَ اللهَ وَرَسُولِهِ، كَمَا يَقْصِدُهُ الخَوَارِجُ وَالزَّيْدِيَّةُ، فَغَلِطُوا فِي ذَلِكَ.

وَكَذَلِكَ إِنْكَارُهُمْ لِلْخَوَارِقِ غَيْرِ المُعْجِزَاتِ، قَصَدُوا بِهِ إِثْبَاتَ النُّبُوَّةِ وَنَصْرَهَا، وَغَلِطُوا فِيمَا سَلَكُوهُ؛ فَإِنَّ النَّصْرَ لَا يَكُونُ بِتَكْذِيبِ الحَقِّ، وَذَلِكَ لِكَوْنِهِمْ لَمْ يُحَقِّقُوا خَاصَّةَ آيَاتِ الأَنْبِيَاءِ.

وَالأَشْعَرِيَّةُ مَا رَدُّوهُ مَنْ بِدَعِ المُعْتَزِلَةِ وَالرَّافِضَةِ وَالجَهْمِيَّةِ، وَغَيْرِهِمْ، وَبَيَّنُوا مَا بَيَّنُوهُ مِنْ تَنَاقُضِهِمْ، وَعَظَّمُوا الحَدِيثَ وَالسُّنَّةَ وَمَذْهَبَ الجَمَاعَةِ، فَحَصَلَ بِمَا قَالُوهُ مِنْ بَيَانِ تَنَاقُضِ أَصْحَابِ البِدَعِ الكِبَارِ وَرَدِّهِمْ مَا انْتَفَعَ بِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فَإِنَّ الأَشْعَرِيَّ كَانَ مِنَ الـمُعْتَزِلَةِ، وَبَقِيَ عَلَى مَذْهَبِهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَقْرَأُ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ الجُبَّائِيِّ [هُوَ مُحَمَّدٌ بنُ عَبْدِ الوَهَّابِ بنِ سَلَامٍ بنِ خَالِدٍ بنِ حُمْرانَ بنِ أَبَانَ الجُبَّائِيُّ، أَحَدُ أَئِمَّةِ الـمُعْتَزِلَةِ، وَلَهُ فِي مَذْهَبِ الاعْتِزَالِ مَقَالَاتٌ مَشْهُورةٌ كَانَتْ وِلَادَتُهُ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَتُوُفِيَ فِي سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثمَائَةٍ]، فَلَمَّا انْتَقَلَ عَنْ مَذْهَبِهِمْ كَانَ خَبِيرًا بِأُصُولِـهِمْ وَبالرَّدِّ عَلَيْهِمْ، وَبَيَانِ تَنَاقُضِـهِمْ، وَأَمَّا مَا بَقِيَ عَلَيْهِ مِنَ السُّنَّةِ فَلَيْسَ هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الـمُعْتَزِلَةِ، بَلْ هُوَ مِنْ القَدْرِ الـمُشْتَرَكِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الجَهْمِيَّةِ، وَأَمَّا خَصَائِصُ الـمُعْتَزِلَةِ فَلَمْ يُوَالِـهِمُ الأَشْعَرِيُّ فِي شَيْءٍ مِنْهَا؛ بَلْ نَاقَضَهُمْ فِي جَمِيعِ أُصُولِهِمْ، وَمَالَ فِي [مَسَائِلِ العَدْلِ، وَالأَسْمَاءِ وِالأَحْكَامِ] إِلَى مَذْهَبِ جَهْمٍ وَنَحْوِهِ.

وَكَثِيرٌ مِنَ الطَّوَائِفِ ـ [كَالنَّجَّارِيَّةِ] أَتْبَاعِ حُسَيْنٍ النَّجَّارِ، وَ[الضِرَّارِيَّةِ] أَتْبَاعِ ضِرَارِ بنِ عَمْرٍو ـ يُخَالِفُونَ الـمُعْتَزِلَةَ فِي القَدَرِ وَالأَسْمَاءِ وَالأَحْكَامِ، وَإِنْفَاذِ الوَعِيدِ. وَالـمُعْتَزِلَةُ مِنْ أَبْعَدِ النَّاسِ عَنْ طَرِيقِ أَهْلِ الكَشْفِ وَالخَوَارِقِ، وَالصُّوفِيَّةُ يَذُمُّونَهَا وَيَعِيبُونَهَا.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَكَذَلِكَ يُبَالِغُونَ فِي ذَمِّ النَّصَارَى أَكْثَرَ مِمَّا يُبَالِغُونَ فِي ذَمِّ اليَهُودِ، وَهُمْ إِلَى اليَهُودِ أَقْرَبُ، كَمَا أَنَّ الصُّوفِيَّةَ وَنَحْوَهُمْ إِلَى النَّصَارَى أَقْرَبُ؛ فَإِنَّ النَّصَارَى عِنْدَهُمْ عِبَادَةٌ وَزُهْدٌ وَأَخْلَاقٌ بِلَا مَعْرِفَةٍ وَلَا بَصِيرَةٍ فَهُمْ ضَالُّونَ، وَاليَهُودُ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ وَنَظَرٌ بِلَا قَصْدٍ صَالِحٍ وَلَا عِبَادَةٍ وَلَا زُهْدٍ وَلَا أَخْلَاقٍ كَرِيمَةٍ، فَهُمْ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ، وَالنَّصَارَى ضَالُّونَ.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي حَاتِمٍ: وَلَا أَعْلَمُ فِي هَذَا الحَرْفِ اخْتِلَافًا بَيْنَ الـمُفَسِّرِينَ، وَرَوَى بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي رَوْقٍ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: وَغَيرِ طَرِيقِ الضَّالِّينَ وَهُمُ النَّصَارَى الَّذِينَ أَضَلَّهُمُ الله بِفِرْيَتِهِمْ عَلَيْهِ، يَقُولُ: فَأَلْهِمْنَا دِينَكَ الحَقَّ ـ وَهُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ـ حَتَّى لَا تَغْضَبَ عَلَيْنَا كَمَا غَضِبْتَ عَلَى اليَهُودِ، وَلَا تُضِلَّنَا كَمَا أَضْلَلْتَ النَّصَارَى فَتُعَذِّبَنَا كَمَا تُعَذِّبُهُمْ، يَقُولُ: امْنَعْنَا مِنْ ذَلِكَ بِرِفْقِكَ وَرَحْمَتِكَ وَرَأْفَتِكَ وَقُدْرَتِكَ. قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: وَلَا أَعْلَمُ فِي هَذَا الحَرْفِ اخْتِلَافًا بَيْنَ الـمُفَسِّرِينَ، وَقَدْ قَالَ سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ: كَانُوا يَقُولُونَ: مَنْ فَسَدَ مِنْ عُلَمَائِنَا فَفِيهِ شَبَهٌ مِنَ اليَهُودِ، وَمَنْ فَسَدَ مِنْ عُبَّادِنَا فَفِيهِ شَبَهٌ مِنَ النَّصَارَى.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فَأَهْلُ الكَلَامِ أَصْلُ أَمْرِهِمْ هُوَ النَّظَرُ فِي العِلْمِ وَدَلِيلِهِ، فَيُعَظِّمُونَ العِلْمَ وَطَرِيقَهُ، وَهُوَ الدَّلِيلُ، وَالسُّلُوكُ فِي طَرِيقِهِ، وَهُوَ النَّظَرُ.

وَأَهْلُ الزُّهْدِ يُعَظِّمُونَ الإِرَادَةَ وَالـمُرِيدَ، وَطَرِيقُ أَهْلِ الإِرَادَةِ. فَهَؤُلَاءِ يَبْنُونَ أَمْرَهُمْ عَلَى الإِرَادَةِ، وَأُولَئِكَ يَبْنُونَ أَمْرَهُمْ عَلَى النَّظَرِ، وَهَذِهِ هِيَ القُوَّةُ العِلْمِيَّةُ، وَلَا بُدَّ لِأَهْلِ الصِّرَاطِ الـمُسْتَقِيمِ مِنْ هَذَا وَهَذَا، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هَذَا وَهَذَا مُوَافِقًا لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ.

فَالإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَمُوَافَقَةُ السُّنَّةِ، وِأُولَئِكَ عَظَّمُوا النَّظَرَ وَأَعْرَضُوا عَنِ الإِرَادَةِ، وَعَظَّمُوا جِنْسَ النَّظَرِ وَلَمْ يَلْتَزِمُوا النَّظَرَ الشَّرْعِيَّ، فَغَلِطُوا مِنْ جِهَةِ كَوْنِ جَانِبِ الإِرَادَةِ لَمْ يُعَظِّمُوهُ، وَإِنْ كَانُوا يُوجِبُونَ الأَعْمَالَ الظَّاهِرَةَ، فَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ أَعْمَالَ القُلُوبِ وَحَقَائِقَهَا، وَمِنْ جِهَةِ أَنَّ النَّظَرَ لَمْ يُمَيِّزُوا فِيهِ بَيْنَ النَّظَرِ الشَّرْعِيِّ الحَقِّ الَّذِي أَمَرَ بِهِ الشَّارِعُ وَأَخْبَرَ بِهِ، وَبَيْنَ النَّظَرِ البِدْعِيِّ البَاطِلِ الـمَنْهِيِّ عَنْهُ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَكَذَلِكَ الصُّوفِيَّةُ، عَظَّمُوا جِنْسَ الإِرَادَةِ إِرَادَةِ القَلْبِ، وَذَمُّوا الهَوَى وَبَالَغُوا فِي البَابِ، وَلَمْ يُمَيِّزْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بَيْنَ الإِرَادَةِ الشَّرْعِيَّةِ المُوَافِقَةِ لِأَمْرِ اللهِ وَرُسُولِهِ، وَبَيْنَ الإِرَادَةِ البِدْعِيَّةِ، بَلْ أَقْبَلُوا عَلَى طَرِيقِ الإِرَادَةِ دُونَ طَرِيقَةِ النَّظَرِ، وَأَعْرَضَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ الدَّاخِلُ مِنْ هَاتَيْنِ الجِهَتَيْنِ؛ وَلِهَذَا صَارَ هَؤُلَاءِ يَمِيلُ إِلَيْهِمْ النَّصَارَى وَيَمِيلُونَ إِلَيْهِمْ، وَأُولَئِكَ يَمِيلُ إِلَيْهِمُ اليَهُودُ وَيَمِيلُونَ إِلَيْهِمْ، وَبَيْنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى غَايَةَ التَّنَافُرِ وَالتَّبَاغُضِ.

وَكَذَلِكَ بَيْنَ أَهْلِ الكَلَامِ وَالرَّأْيِ، وَبَيْنَ أَهْلِ التَّصَوُّفِ وَالزُّهْدِ تَنَافُرٌ وَتَبَاغُضٌ، وَهَذَا وَهَذَا مِنَ الخُرُوجِ عَنِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ، صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا.

نَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ أَنْ يَهْدِيَنَا وَسَائِرَ إِخْوَانِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ، غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ، آمِينَ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تقديم مؤسسة ابن جبرين الخيرية	3
متن: (تسهيل حساب الفرائض)	5
متن: (الفرقان بين الحق والبطلان)	153
الفهرس	247

جدول دورة
سماحة الشيخ العلامة
د. عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين رحمه الله

العلمية الصيفية الثالثة عشرة

في الفترة من ١٤٢٤/٧/٢٩هـ إلى ١٤٢٤/٨/١١هـ

بجامع الشيخ عبدالله الراجحي بشبرا

الأسبوع الأول

فضيلة الشيخ
أ.د. سعد بن تركي الخثلان
تسهيل حساب الفرائض
بعد صلاة الفجر

فضيلة الشيخ الدكتور
عبدالرحمن بن صالح المحمود
الفرقان بين الحق والبطلان
بعد صلاة المغرب والعشاء

الأسبوع الثاني

فضيلة الشيخ الدكتور
عبدالله بن ناصر السلمي
التسهيل في الفقه للبعلي
بعد صلاة الفجر

فضيلة الشيخ الدكتور
عمر بن عبدالله المقبل
مصادر كتب علوم الحديث
بعد صلاة المغرب

فضيلة الشيخ
عبدالمحسن بن عبدالله الزامل
عوالي مسلم: أربعون حديثاً منتقاة من صحيح مسلم - لابن حجر
بعد صلاة العشاء

مع تحيات مؤسسة ابن جبرين الخيرية
Ibn Jebreen Foundation
هاتف: 966114261000 +
فاكس: 966114263700 +
ومؤسسة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز الراجحي الخيرية هاتف: 966114950101 +